

روايات مصرية للجيب ونبيل فاروق

رجل المستحيل

الخطة (ب)

148



Looloo

www.helmelarab.net



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فنة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المئس إلى قاذقة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته الثامة لكافة حبة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات السكر (المكياج) .. وقبادة السيارات والطائرات، وحتى القواصص .. فى جانب مهارات أخرى متعددة ..

قد اصبح أكثر عرى ته من المستحيل أن يجيد رجل واحد من هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة تلك القبة التى جعلته عليه إدارة المخابرات المصرية (رجل المستحيل) ..

د. نبيل فاروق

١- المقاعد الاحتياطية ..

التقط مدير المخابرات العامة المصرية نفساً عميقاً، ثم أطلقه فى تنهيدة حارة، وهو يراجع آخر التقارير السرية، الواردة من الولايات المتحدة الأمريكية، قبل أن يغمغم:

- رياه! من الواضح أن تلك القلمضة تمتلك شبكة معلومات رهيبية، لم تحظ بها منظمة للجاسوسية الخاصة قط، عبر التاريخ كله ..

أوما مساعده برأسه إيجابياً، وهو يضيف:

- وقوة بلا حدود أيضاً بإسيادة الوزير"، فما قطعته هناك، ضد ساحل (نورفك)، يؤكد أنها أقوى من كل الأجهزة الفنية الأمريكية مجتمعة ..

أشار المدير بسبابته، متمتماً:

- هذا صحيح ..

وعاد يلقي نظرة أخرى سريعة على التقارير، قبل أن ينهض من مقعده، ويتجه نحو نافذة حجرة مكتبه، ويعقد كفيه خلف ظهره، وهو يتطلع عبرها فى صمت، ثم يتمتم:

- الموقف ازداد تعقيداً، على نحو غير مسبوق ..

(+) مدير المخابرات العامة المصرية فى درجة وزير، يتبع رئاسة الجمهورية مباشرة ..

نطلقها ، وذهنه يحاول استرجاع الأحداث ، التي بدأت منذ أيام قليلة .. قليلة للغاية ..

بدأت منذ تجاوز الأمريكيون كل الحدود ، وتقدموا بطلب رسمي إلى المخابرات المصرية ، لإقتضاء (أدهم صبرى) عن عمله في المخابرات ، وإلا تعرضت (مصر) كلها إلى عقوبات سياسية واقتصادية وعسكرية عجيبة ..

ورفضت (مصر) هذا الأسلوب الوقح ..

وبشدة ..

وتهينة الأمور ، عرض (أدهم) الاستقالة من جهاز المخابرات ، إلا أن رئيس الجمهورية ومدير المخابرات رفضا هذا تعاماً ، بل وقرّر سيادة الرئيس منح (أدهم) رتبة أوسع الترتيب ، تحيياً للفرسة الأمريكية ، وإثباتاً لسيادة المصرية .. و ...

وبسط أمر هذا ، ظهرت تلك الزعيمة ..

زعيمة القصة ..

ظهرت لتحدى الأمريكيين على نحو سافر ..

عقب ..

فمن ..

وبعد أن أثبتت قوتها أكثر من مرة ، بوساطة سيطرتها التامة على قمر صناعى دفاعى ، يتبع مشروع (حرب النجوم) ، بدأت الزعيمة الغامضة فى فرض شروطها ..

وكان ميثر ، طائفت الأمريكيين بمائة مليار دولار من الناس النقي ، على أن يقوم بتسليمها رجل مخابرات ..

رجل مخابرات مصرى ، يدعى (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

وعلى الرغم من صدمة الأمريكيين ، واستنكارهم للأمر ، وغضبهم البالغ منه ، لم يكن أمامهم خيار ..

لا بد من الاستعانة بالمخابرات المصرية ..

ويرجلها (أدهم صبرى) بالتحديد ..

لذا ، كان من المحتم أن يتغير العرض الأمريكى الوقح ، وأن ينقلب رأساً على عقب ، بعد أن وضعت الزعيمة الغامضة كل نظم الأمن الأمريكية فى مأزق حرج .. ومن أجل (مصر) ، وافق (أدهم) .

وافق على معارضة الأمريكيين ، في مواجهة تلك الزعيمة الغامضة ؛ لأن نجاحها في السيطرة على مقاليد الأمور ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، سيحدث خلافاً في ميزان القوى ، قد يؤدي إلى تعمير العالم كله .

وكان على (أدهم) أن ينطلق إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، على متن مقاتلة أمريكية ..

وعبر المحيط الأطلنطي ، انطلقت مقاتلة (أدهم) ..

وانطلقت خلفها مؤامرات الزعيمة الغامضة ..

وبمواجهة عنيفة ، نفذ وقود مقاتلة (أدهم) ، وسقطت هناك .

في قلب المحيط ..

وفي نفس الوقت الذي تلقى فيه الأمريكيون ضربات متتالية ، من الزعيمة الغامضة ، سقط (أدهم) في قبضتها ..

وعلى الرغم من أنها قتلت فكرة على فكتله ، في أية لحظة ، إلا أنها أبت على حيته ؛ لأنها ترى أن المتعة لا تكمن في قتله ..

بل في هزيمته ..

وانطلقت المخابرات المصرية تبحث عن تفسير لاختفاء رجلها الأول ، في قلب المحيط ..
وتوصلت إلى نظرية ..

نظرية وجدت صدق لدى المخابرات الأمريكية ، وخاصة بعد أن وجهت إليهم الزعيمة الغامضة أعنف ضرباتها ، ولقتلهم أعنف دروسها ، وهي تحصل منهم على حقيبة الماس النقي ..

مائة مليار دولار من الماس النقي ، حصلت عليها الزعيمة ، بعد أن سحقته نظم الأمن الأمريكية سحقاً ..

ولكنها لم تكف بهذا ..

فمع تحالف القوى ضدها ، قررت أن تبتز الإدارة الأمريكية بوسيلة جديدة وريية ..

وكانت صدمة رهيبية للجميع ..

فما طلبته كان يتجاوز كل الحدود ، وكل المقاييس ، وكل قواعد العقل أيضاً ..

وإلى أقصى حد ..

وفي نفس الوقت ، الذي كانت تلقى فيه مطالبتها ، كان قائد قواتها ، ومساعدتها الأولى (تينا) يستعدان لنشع (أدهم) ، عبر أنبوب إطلاق الطوربيدات ، في غواصتها الخفية إلى الأعماق ..
أعماق الموت (*) ..

ولأن مدير المخابرات العامة المصرية ، لم يكن يعلم سوى الجزء المعلن من الأمر ، فقد أطلق من أعماق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، قبل أن يضيف :
.. نعم .. ازداد تعقيدا إلى أقصى حد ، وما زلنا نجهل مصير (ن - ١) ..

هزّ مساعده رأسه في أسف ، قبل أن يقول :
.. المشكلة أن الأمر كله في نطاق الأمريكيين وحدهم ، ودخل حدودهم .

قال مدير المخابرات في حزم :

.. هذا لا يعنى أن نلحق سالكين .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزئين ، الأول والثاني ، (لملوك) ،
(و) القصص - المغامرتين رقمي (١٤٦) ، (١٤٧) .

سأله المساعد في اهتمام :
.. وما الذي يمكننا أن نفعله يا سيدي !!
صمت مدير المخابرات طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب ، في حزم أكبر :

.. بل قل ما الذي فعلناه .
ثم استدار إلى مساعده ، مضيقاً :
.. لقد بدأت خططنا الاحتياطية بالفعل ،
وارتفع حاجبا المساعد في دهشة ..
فالمعجاة كانت قوية ..
للغاية ..

★ ★ ★

« أنت مجنونة !! مجنونة بحق !! »

هتفت مستشارة الأمن القومى الأمريكية بالعبارة ، بكل ما اعتدل في نفسها من غضب وثورة ، وهي تواجه شاشة التلفاز ، التي حملت صورة الزعيمة الغامضة ، التي أطلقت ضحكة عالية ، عذبة ، مجلجلة ، وألقت بقايا سيجارتها بعيداً ، وهي تقول :

- من الواضح أن مطلبى هذا قد أثار جنونكم .. يا إلهى !
كم يروق لى هذا :

ضمغم مدير المخابرات ذاهلاً :

- إنها مجنونة حتماً .

هتفت الزعيمة فى سخرية ، وهى تشعل سيجارة جديدة ،
من سجائرهما الحمراء الرقيقة :

- لقد سمعت هذا ..

أجابها مدير المخابرات فى حدة :

- وما الفارق ؟؟

نقشت دخان سيجارتها ، وهى ترفع أحد حاجبيها
وتخلفه ، قللة فى عبث :

- نعم .. وما الفارق ؟؟

ثم مالت إلى الأمام ، لتضيف فى صرامة متجددة :

- سأسحقكم جميعاً فى كل الأحوال .

اتسعت عينا الرئيس الأمريكى فى ارتياح ، فى حين اتعقد
حاجبها وزير دفاعه ، وهو يقول للزعيمة ، فى عصبية لم
يستطع إخفاءها :

- هل تعرفين خطورة ما تطلبينه بالضبط ؟؟

هزت الزعيمة كتفيها فى لامبالاة ، وهى تجيب :

- بالتأكيد .

تلقت مستشارة الأمن القومى الأمريكىة ، تقول فى حدة :

- لن ننفذ مطلبك هذا ، مهما كان الثمن .

تلقت عينا الزعيمة الغامضة فى سخرية ، وهى تميل
إلى الأمام ، وتلفت دخان سيجارتها فى اتجاه الشائشة
مباشرة ، قللة :

- كيف تم اختيارك ؟؟

تراجعت المستشارة بحركة حادة ، وهى تهتف :

- كيف ماذا ؟؟

أجابتها الزعيمة ، فى مزيج مدبش من الصرامة والسخرية :

- كيف اختارك الرئيس ، كمستشارة للأمن القومى ، بكل
ما يسلا نفسك من أحقاد ، وانفعالات ، ومشكلات نفسية
وتاريخية .. وعرقية أيضاً .

احتقن وجه المستشارة ، وهى تهتف :

- هذا غير صحيح .

تابعت الزعيمة ، وهي تتجاهل مقاطعة المستشارة تعاماً :

- أعتقد أنك المسئولة عن كل التعقيدات ، التي أحدثتها (أمريكا) في العالم ، في الأعوام الأخيرة ، بسبب مشكلاتك النفسية .

صرخت المستشارة في غضب أكثر :

- غير صحيح .

أضافت الزعيمة في جذل ، وكأن ثورة مستشارة الأمن القومي تروق لها كثيراً :

- والعاطفية القديمة .

استمع وجه مستشارة الأمن القومي ، وتراجعت بحركة حادة كالمصعوقة ، واستدارت بغضب هائل إلى مدير المخابرات ، الذي انعقد حاجباه في شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فأطلقت الزعيمة الغامضة ضحكة عالية عابثة ، قبل أن تضيق في سخرية :

- إنها مغلوطة قديمة ، في ملفك الخاص عندي ، ولا شأن لها بتلك التي يحتفظ بها مدير المخابرات ، في الملف رقم (١٦٦٠٤ / ب) ، في مكتبه الخاص .

التفرض جسد مدير المخابرات في عصف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يغمغم :

- مستحيل !

أطلقت الزعيمة ضحكة عالية مجلجلة ، تعلن بها سعادتها الجمة ، مع حالة الذهول والارتباك ، التي أحدثتها في اجتماع صائقة الإدارة الأمريكية ، واعتذلت في مقدمها ، وهي تهم بقول شيء ما ، إلا أن تزيراً حاداً تطلق في حجرتها فجأة ، فدارت عينها نحو مصدره ، قبل أن تقول في وحشية شرسة مباغتة :

- سنتم حديثنا في وقت لاحق .

ومع آخر حروف كلمتها ، انقطع الاتصال بفتة ، وانطقت شاشة التلفاز الكبير في المكتب البيضاوي ، فاتسعت عيون الجميع ، واتمدل عليهم صمت ثقيل ليضع لحظات ، قبل أن يضغم وزير الدفاع ، في عصبية بالغة :

- ماذا حدث ؟!

تردد مدير المخابرات لعباه في صعوبة : للترطيب حلقه الجف ، قبل أن يجيب بصوت متحشرج :

- من الواضح أنها قد تلفت إذاراً ما ، أو ...

قاطعه وزير الدفاع في حدة :

- ليس هذا ما أقصده .

هتفت مستشارة الأمن القومي في عصبية :

- لو أنك تقصد ما أشارت إليه ، بشأن علاقتي العاطفية القديمة ، مع الـ ..

قاطعتها وزير الدفاع ، في حدة أكثر :

- ليس هذا ما قصدته أيضاً .

ثم لحتني صوته : من فرط اتعاليه ، وهو يضيف :

- كنت أقصد تماديها في طلباتها ، إلى هذا الحد السخيف .

هزّ الرئيس الأمريكي رأسه في قوة ، وضرب سطح مكتبه براحته ، وهو يقول في حدة :

- أنت على حق .. قد تجاوزت كل الحدود هذه المرة ، بمطلبها الأخير هذا .

هتفت مستشارة الأمن القومي ، وقد لحتن وجهها بشدة ، من فرط الغضب والانفعال ، مما زادها قبحاً ، على نحو عجيب :

- لا يمكننا أن نخضع لمطلبها هذه المرة .. لا يمكننا هذا أبداً .

قال الرئيس في حدة :

- بالتأكيد ، فما تطلبه كغيل بتهيلز المخصص الأمريكى كله .

قال وزير الدفاع في حدة :

- وهذا ما تشده ، وما عبّرت عنه بوضوح ، عندما قالت : إنها تشد السيطرة التامة .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وهو يقول :

- لقد طلبت مائة مليار أخرى فحسب .

صاحت مستشارة الأمن القومي :

- وهل ستسلمها ذهب (فورت نوكس) بهذه البساطة^(١٩) .

هتف الرئيس :

- مستحيل !

بدأ مدير المخابرات شديد التوتر والعصبية وهو يقول :

(+) فورت نوكس : قلعة أمريكية ضخمة ، في ولاية (كنتاكي) الأمريكية ، تحتل مساحة مائة وعشرة آلاف فدان من الأرض ، على بعد خمسة وثلاثين ميلاً من بلدة (نوبس فيل) - وهي تعتبر درع الولايات المتحدة - عسكرياً واقتصادياً ، إذ تضم عدداً من مراكز التدريب العسكرية ، بالإضافة إلى كل احتياطي الذهب ، والذي تبلغ قيمته ستعارة سبيل دولار . تمت حراسة قوية للغاية ، ولقد تم اعتبارها الدرع الاقتصادي الأمريكى - منذ عام ١٩١٨ م .

- وما القوة التي سنستند إليها لرفض مطلبها هذا ؟!

لوح وزير الدفاع بيده في حدة ، وهو يهتف :

- سجد وسيلة .. آية وسيلة ؟!

سأله مدير المخابرات ، في صرامة عصبية شديدة :

- مثل ماذا ؟!

هتفت مستشارة الأمن القومي في التفعال :

- لدي فكرة حاسمة ..

قبل أن تكمل عبارتها ، رفع مدير المخابرات سبيلته ، في صرامة شديدة ، وهو يقول :

- ليس هنا .

تطلع إليه الجميع في دهشة مستترة ، إلا أنه أشار إلى التفلز الكبير ، وكأنما يذكرهم باختراق الزعيمة لنظم تأمين المكان ، وهو يضيف في حزم شديد :

- لن يختلف أحدنا على أن هذه الظروف ، التي تمر بها البلاد ، هي قمة حالة الطوارئ ، وفي ظروف كهذه ، تحتم إجراءات الأمن الانتقال إلى موقع آخر .

غمغم الرئيس في توتر :

- موقع آخر ؟!

شد مدير المخابرات قامته ، وهو يجيب في حزم شديد :

- نعم يا سيادة الرئيس .. لقد حان الوقت ؛ للانتقال من مقاعدنا الرئيسية ، إلى المقاعد الاحتياطية .. فوراً .

ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ، أو يرتفع صوت واحد بالاعتراض أو الاستنكار ، فقد اجتمعت عقولهم وقلوبهم على أن مدير المخابرات على حق هذه المرة ..

على حق تماماً ..

أما مدير المخابرات نفسه ، فقد كان ذهنه منشغلاً ، في تلك اللحظة ، بالبحث عن جواب لسؤال آخر ..

ما طبيعة ذلك الإنذار ، الذي تلقته تلك الزعيمة الغامضة ، والذي جعلها تقطع اتصالاتها بهم على ذلك النحو ؟!

أي خطر تواجهه في وكرها الغامض ؟!

أي خطر ؟!

ولم يدر لحظتها ، وهو يختصر عقله للبحث عن الجواب ، أن الخطر ، الذي جذب اهتمام والتفكير الزعيمة ، كان يتعلق بمصير رجل واحد ..

رجل يحمل لقباً ، لم يجعله سواء ، في عالم الجاسوسية
والمخابرات كله ..

رجل المستحيل ..

بكل الحسم والحزم ، جذبت الصبئية (ثيا) ذراع إطلاق
الطورييد ، وذهنها يتفيل جسد (أدم) ، وهو ينطلق من أبواب
إطلاق الطورييدات ، إلى قلب المحيط ، بقوة تكفي لمقتله ..

بل لتعزيقه إرباً ..

كانت تشعر بشيء من الأسف ، وهي تقدم على هذه
الخطوة ، بعد أن تجذبت بشدة لشخصية (أدم) ، وجرائه ،
وشجاعته الفاتكة ..

ولكنها كانت تتصور أنها تنفذ أوامر الزعيمة

وفي هذا المضمار ، ليس من حقها أن تدس مشاعرها
في الأمر ..

أو حتى تتردد لحظة واحدة ..

إنها مضطرة للتنفيذ فحسب ..

ودون أدنى مناقشة ..

لذا فقد جذبت الذراع في حزم وحسم ، و ...

« ما الذي تفعلينه بالضبط يا (ثيا) ؟ »

اتطلق صوت الزعيمة بفتة ، بذلك السؤال الصارم ، عبر
مكبر صوتي محدود ، داخل قاعة إطلاق الطورييدات ،
فاعتدل الرجلان الضخمان بحركة حادة ، وشدًا قامتيهما ،
وكانتا تقف أمامهما مباشرة ، في حين ارتبكت (ثيا) في
شدة ، وهي تقول :

- أنفذ الأوامر أيتها الزعيمة .

سألتها الزعيمة في صرامة باردة :

- أوامر من ؟

ارتبكت (ثيا) أكثر ، وهي تقول :

- أوامرك أيتها الزعيمة .. الأوامر الخاصة بالخطبة (ب) .

بدا صوت الزعيمة عفيفاً قاسياً ، وهي تقول :

- وهل أصدرت لك هذه الأوامر بنفسى يا (ثيا) ؟

خجلت للصبئية الحسنة أن المكان يمد بها ، وهي تجيب :

- كلاً أيتها الزعيمة .. لقد أبلغنى بها قائد قواتك ، و ...

قاطعتها الزعيمة ، في شرسة مخيفة :

- أبلغك بها ؟

- هل سميت القاعدة رقم واحد هنا أيتها الحفيدة ؟

شعرت (تيا) بركبتيتها ترتجفان ، من شدة رعبها ، حتى أنها سقطت عليهما ، وهي تهتف :

- الرحمة .. الرحمة .

ولكن الزعيمة تابعت في وحشية :

- الأوامر ينبغي أن تصدر مني فقط .. لا أحد ينفذ أمرًا واحدًا ، ما لم يتلقاه مني شخصيًا .

كررت (تيا) في التهيأ :

- الرحمة أيتها الزعيمة .. الرحمة .

بدأت الزعيمة أشد ، بعاصفة من الغضب والثورة ، وهي تكمل ، وكأنها لم تسمع توسلات (تيا) :

- وتجاوز هذه القاعدة ، سيواجه دومًا بعنتهى الحزم والقوة .

ارتجف الرجلان المسلولان عن حجرة الطوريبيدات ، على الرغم من ضخامتهما ، والقوة البدائية على جسديهما ، وأحدهما يهتف :

- لقد تصورنا أنها أوامرك أيتها الزعيمة .. أقسم لك .

تجاهلت الزعيمة القاسية هتافه ، وهي تقول بنهجة صارمة امرأة :

- أخرجوا رجل المختبرات المصري ، من أنبوب إطلاق الطوريبيد .

استنقع وجه الصينية الفاتلة ، حتى بدا وكأنه يخلو من الحياة تمامًا ، وهي تقول مرتجفة :

- ولكن .. ولكنني جذبت تراع الإطلاق أيتها الزعيمة .

أجابتها الزعيمة ، في برود قاس رهيب :

- لا شيء يمكن أن يعمل هنا ، إلا بعد موافقتي شخصيًا .

ثم أضافت بصيحة هادرة :

- أخرجوه .

تنتفض الضخمان ، وهما يندفعان نحو كوة الطوريبيد ، ويقتحما أحدهما في سرعة ، وهو يردد مرتجفًا :

- لم تكن نعمل .. أقسم لك ، ثم إن ..

قاتلها ، وهو يفتح الكوة عن آخرها ، و ...

ويتر عبارته دفعة واحدة ..

وتسعت عيناه عن آخرهما بذهول .. وكذلك فعل رفيقه ..

وفعلت (تيا) ..

فأمام عيونهم جميعاً ، وعلى الرغم من تجاوز هذا ، لكل قواعد العقل والمنطق ، كان أبواب إطلاق التطور بيد خاليتي .. خاليتي تماماً .

★ ★ ★

٢- البطول ..

بدا التوتر واضحاً ، على وجه قلند أمن البيت الأبيض ، وهو يلقي نظرة على ساعته ، ثم يدير عينيه إلى باب حجرة مكتب الرئيس ، قلقاً لمساعدته :

- لقد طال الاجتماع أكثر مما ينبغي .

غمغم مساعدته :

- الأمر خطير للغاية ، ومن الطبيعي أن يستغرقوا وقتاً طويلاً للغاية ؛ لدراسته ، واتخاذ القرارات بشأنه .

قال قائد الأمن ، في شيء من العصبية :

- ليس إلى هذا الحد .

نطقها ، واتجه نحو حجرة المكتب ، فتتحنج مساعدته في توتر ، وهو يقول في عصبية :

- معذرة يا سيدي ، ولكن الأوامر ..

زمر قائد الأمن ؛ لبقاطعه ، وهو يواصل تحركه نحو مكتب الرئيس ، قلقاً في صرامة شرسة :

- الأوامر تختلف ، في مثل هذه الظروف الطارئة .

كان يمد يده بالتفعل إلى مقبض الباب : عندما ارتفع رنين هاتفه المحمول فجأة بنغمة خاصة للغاية ، جعلته يتوقف ، وينتقطه من جيبيه في سرعة ، مغمضاً :
- عجباً .. ولمذاً ..

وقبل أن يتم تسؤله ، ضغط زر الاتصال ، وشد قامته ، قائلاً بلهجة حاسمة ، وصوت قوى :

- أوامرك يا سيادة مدير المخابرات .

أنه صوت مدير المخابرات ، وهو يقول في صرامة :

- اتخذ كل إجراءات الطوارئ البنيلة يارجل ، والخاصة بخطة استمرار الحكومة^(*) ..

اتخذ حاجباً قلند أمن البيت الأبيض في شدة ، وسرت في جسده ارتجافة عنيفة متوترة ، وهو يشد قامته ، في وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول في قوة :

- خطة استمرار "حكومة ؟؟ هل ..

(*) خطة استمرار الحكومة . هي خطة احتياطية دقيقة ، تعتبرها كل الدول من نوع أسرارها وأخطرها ، وهي تعتمد على حسنة رئيس الدولة والوزراء ، وكبار القادة العسكريين ، وقادة المخابرات ، في ظروف الطوارئ القصوى ، أو عند اندلاع حروب مفاجئة ، ولقد تم تنفيذها في أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، عام ٢٠٠١ م ، مع ضربة مركز التجارة العالمي . في (أمريكا) .

كان يريد أن يتسائل : هل بلغت الأمور هذا الحد ؟؟ ، إلا أنه كتم باقي السؤال في أعقله ، وقل بلهجة عسكرية حازمة :

- سنأخذ كل الإجراءات فوراً يا سيدي .. سأجرب اتصلي بالهليكوبتر الخاصة ، لنقل سيادة الرئيس ، و ...

قاطعته مدير المخابرات في صرامة :

- لقد تم نقل الرئيس والمستولين بالفعل ، إلى مقر قيادة الطوارئ .

تلفظ جسد قلند الأمن في عنف ، وهو يهتف :

- تم نقلهم ؟؟ ولكن كيف ؟؟ المفترض أن ..

قاطعته مدير المخابرات مرة أخرى ، في صرامة أكثر :

- انس كل ما تعرفه عن خطة استمرار الحكومة الأصلية ..

لقد قمنا بتنفيذ الخطة (ب) .

عاد جسد قائد الأمن يلتفض ، في غضب هائل هذه المرة ، وزداد اعتقاد حاجبيه ، حتى كاداً يمتزجان ، وهو يهتف مستكراً :

- الخطة (ب) ؟؟

أجابه مدير المخابرات :

- نعم .. الخطئة (ب) .. إنها خطة خاصة وباتفة السرية ، بحيث لا يعلمها سوى الرئيس وأنا فقط .

سأله قائد الأمن ، وهو بعض شفته السفلى ، حتى كاد يدميها :

- وماذا عن وسيلة الانتقال ؟؟ إننا نحيط بالمكان كله ، ولم ..

قاطعه مدير المخابرات في صرامة :

- ليس هذا من شأنك .. اتخذ باقي الإجراءات فحسب .. هل تفهم ؟؟

غمغم قائد الأمن في مقت :

- نعم .. أفهم .

أنهى المحادثة ، وأعاد هاتفه المحمول إلى جيبه ، وهو يلتفت مرة أخرى إلى مقبض باب المكتب البيضاوى ، فسأله مساعده في قلق :

- ماذا هناك ؟

صمت قائد الأمن لحظة ، قبل أن يدير المقبض فجأة في صرامة ، وهو يقول في حزم :

- بل ماذا هنا ؟

فتح باب الحجرة بحركة حادة ، وهو يتحسّن المعدس المغطى تحت إبطه ، على نحو غريزي ، وعاد حاجباه ينعدان بشدة ، وهو يدير عينيه في الحجرة الخالية تمامًا ، قبل أن يلحق به مساعده ، ويهتف بكل الدهشة :

- أين ذهب الرئيس ؟؟ أين ذهب الجميع ؟؟

أجابه قائد الأمن في صرامة :

- الوحيد الذى يمكنه إجابة السؤال ، هو المهندس الذى صمّم ونفذ الاتفاق السرية هنا .

هتف مساعده بكل الاتفعال :

- اتفاق سرية ؟؟ هنا .

عاد قائد الأمن يدير عينيه فيما حوله ، وهو يجيب في غضب :

- نعم .. هنا .. هذا هو التفسير الوحيد .. هناك نفق سرى ، في مكان ما هنا .

ثم شد قامته مرة أخرى ، وقال بلهجة أمرة صارمة :

- هيا .. أطلق صفارة الإنذار الصامتة الكبرى .. لقد بدأت خطة استمرار الحكومة بالفعل .

استمع وجه مساعده ، وهو يهتف :

- خطة استمرار الحكومة ؟؟ يا إلهي !

ثم اندفع لتنفيذ الأمر ، في حين بقي قائد الأمن داخل الحجرة ، يدير عينيه فيها عدة مرات ، قبل أن يغمغم في سخط :

- لقد أجادوا اللعبة هذه المرة .

قالها ، وعاد يلتقط هاتفه المحمول ، ويضغط أزراره في سرعة ، وهو يضيف :

- وينبغي إبلاغ هذه المعلومة فوراً .

في نفس اللحظة ، اتسى نطق فيها عبارته ، كانت مستثناة الأمن القومي تقول في عصبية ، داخل مقر القيادة الاحتياطي ، في مكان ما ، تحت العاصمة (واشنطن) :

- صاروخ .. الحل يكمن في صاروخ .

تطلع إليها الجميع في دهشة ، وسألها الرئيس ، في حيرة عصبية :

- صاروخ ؟؟ ماذا تعنين بالتضبط ؟؟

نوحث بذراعها في حدة ، وهي تقول :

- تلك الحقيبة تعتمد ، في قوتها كلها ، على قمر الدفاع ، الذي سيطرت عليه بوسيلة ما ، والذي تستقل منقعه لتخزي لسحق أهدافنا ، وإجبارنا على الخضوع لها .. الحل الأمثل إذن ، هو أن نطلق صاروخاً ، يحمل رأساً نووياً نحو ذلك القمر الدفاعي ، لننصفه نصفاً ، فلا تعود لديها أية قوة لمواجهةنا .

لتقى حاجبا وزير الدفاع ، وهو يقول في حماس :

- فكرة رائعة .

وتسأل الرئيس في لهفة :

- وهل يمكننا تنفيذها ؟؟

أجابه وزير الدفاع بنفس الحماس :

- أعتقد أن لدينا كل ما يصلح للتنفيذ .. وخلال يومين

فصيب ، فقد كنا نستعد بالفعل لإطلاق قمر صناعي جديد ،

للاتصالات الرقمية المجسّعة ، ويمكننا أن نستبدل القمر بصاروخ يحمل رأساً نووية ، أو حتى نصف نووية ، في سرية تامة ، وإطلاقه وفقاً لمساره السابق ، بحيث يفصل الصاروخ ، فور عبوره الغلاف الجوي ، ويتم توجيهه عن بعد ، من قاعدة سرية أرضية ، لينطلق نحو القمر الصناعي الدفاعي ، وينسفه نفساً .

هتف الرئيس ، وقد انتقل إليه الحماس :

- عظيم .. فلنقم بالتنفيذ فوراً .

التقى حاجباً مدير المخابرات ، وهو يقول في حزم :

- رويك يا سيادة الرئيس .. الأمر ليس بهذه البساطة التي تتصورونها .

استدار إليه الثلاثة في حدة ، وهتفت مستشارة الأمن القومي في حدة :

- ولماذا أيها العبقري ؟

أجابها في صرامة :

- لأن الخطة كلها تعتمد على السرية .

قال وزير الدفاع في غضب :

- هذا أمر طبيعي .. أليس كذلك ؟

أشار إليه مدير المخابرات في صرامة ، قائلاً :

- بلى ، وهنا تكمن خطورة الموقف وتعقيداته .

سأله الرئيس في قلق :

- ما الذي تعنيه بالضبط يا رجل ؟

استدار إليه مدير المخابرات ، مجيباً :

- أعني أن هذه هي نقطة قوتها بالتحديد .. الأسرار ..

إنها تصل إلى كل ما نعتبره أسرارنا العليا ، في بساطة تشير دهشتي وجنوني ، ولو أننا أردنا محاربتها ، بأسلوب نضفي عليه السرية ، فمن المحتم أن نعرف أولاً منطقة التسرب في معلوماتنا .. لا بد وأن ندرك من أين تحصل على كل ما نعرفه .. وكيف .. بدون هذا سنجازف بإثارة جنونها ، ودفعها إلى المزيد من العنف والشراسة فحسب ..

قالت مستشارة الأمن القومي في عصبية :

- هل تقترح أن نستسلم لمطالبها ، ونسلمها مائة مليار

دولار ، من ذهب (فورت نوكس) ؟

عقد مدير المخابرات كفيه خلف ظهره ، وهو يقول في صرامة :

- بل أقترح ألا نفقد أعصابنا ، ونبدأ في التصرف بحماسة وسخافة ، أو بعجرفة وغطرسة ، لا تستندان إلى قوة حقيقية ، أو حتى معرفة كافية .

صاحت في غضب :

- من تقصد بقولك هذا بالضبط ؟

أوقفها الرئيس بإشارة عصبية من يده ، قبل أن يسأل مدير المخابرات في قلق متوتر .

- ما الذي تقترحه بالضبط الآن ؟

شد مدير المخابرات قامته في اعتداد ، وهو يقول :

- أقترح أن تدخل معها في مفاوضات طويلة ، وأن نتظاهر بالخضوع لمطلبها ، بعد مساومات مرهقة ، حتى نكسب الوقت الكافي ، الذي يسمح لحلفائنا بالتحرك ، على نحو لا يمكن أن ندركه تلك الغامضة أو تعسفة .

بنت الدهشة على وجه الرئيس ، وقعت حليها وزير الدفاع في شدة ، في حين قامت مستشارة الأمن القومي ، في دهشة مستترة :

- حلفاؤنا ؟! من تعني ؟! المصريين ؟!

هز مدير المخابرات رأسه نقيًا ، وهو يقول :

- كلا .. بل حلفاء من طراز آخر .. طراز يمكنه التعامل مع تلك الغامضة ، بنفس الأسلوب والوسائل .

تبادل الثلاثة نظرة حائرة متوترة ، قبل أن يتساءل وزير الدفاع ، في حذر عجيب ، ثم يكن له - عذلة - ما يبرره :

- من تقصد بالضبط ؟!

التقط مدير المخابرات نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب في حزم - لم يغفل من توتر ملحوظ :

- (X) .. منظمة مستر (X) ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

للجميع ..

* * *

« فراغ معادلة الضغط أيها الأغبياء .. »

انبعث صوت الزعجة الغامضة ، في هدوء عجيب ، أقرب إلى الجذل ، وهي تراقب على شاشتها الخاصة ، تلك الذهول الذي ارتسم على وجوه الجميع ، في حجرة الطوربيدات ، و ...

وقبل أن تتم عبارتها ، انطلق الإعصار ..

إعصار يدعى (أدهم صبرى) وثب بجسده العرن ، فى رشاقة مذهشة ، من فراغ علوى محدود ، فى قمة أقبوب إطلاق الطوربيد ، وهو يندفع خارجه ، قتلاً فى سخرية :

- استمعوا إلى زعيمكم أيها الأوغاد .

وانقضت قبضة كالفقينة ، على فخذ أقرب الضخمين إليه ، ثم دار حول نفسه ، ليتركز الثانى فى معدته ، مستطرداً بنفس السخرية :

- فمن الواضح أنها تختلف عنكم كثيراً .

واندفعت قبضته الثانية ، كعطربة من الصلب ، تحطم أنف الرجل الثانى ، وتلقيه أرضاً فى عنف ، مع إضافته :

- إنها تفكر .

تراجعت (تيا) بحركة حادة ، وانعقد حاجبها فى شدة ، عندما شاهدت الرجلين ضخى الجثة بهويان أرضاً فاقدى الوعي (أدهم) يتكلى فى هدوء وثقة ، ويواجهها بابتسامة ساخرة كبيرة ، وهو يقول :

- مغررة ليها الفتنة ، ولعلنى أردت أن نكون وحنا لحسب .

ازداد انعقاد حاجبها فى سخط ، فى حين لَوَّح هو بذراعها ، فى حركة مسرحية ، قائلاً :

- هذا لا يشمل زعيمك بالطبع ، فمن الواضح أنها تراقب كل مكان ، فى غواصتها تشبيهة بألعاب (ميزنى لاند)^(*) هذه .

تألفت عينا الزعيمة فى جنل عجيب ، وهى تستمع إليه ، وتراقب جسده القوي المعشوق على الشاشة ، وأشعلت واحدة من سجائرهما الحمراء الطويلة فى تلذذ ، دون أن تُعلق على قوله بحرف واحد ، فى حين قالت (تيا) ، فى صوت غاضب صارم :

- لا تتباه كثيراً بما فعلته ياسيد (أدهم) ، فلقد باعث الرجلين فحسب .

رفع (أدهم) أحد حاجبيه وخفضه ، فى حركة عابثة ساخرة ، وهو يقول :

- حقاً !!

(*) ميزنى لاند : أكبر مدينة ترفيهية فى العالم ، أنشأها مخرج الرسوم المتحركة الشهير (ولت ميزنى) ، فى ولاية (كاليفورنيا) الأمريكية . ثم أنشئت مدينة أخرى ، بالاسم نفسه ، فى ولاية (فلوريدا) ، وأخيراً أنشئت الثالثة فى (فرنسا) .

تحركت في رشقة حذرة ، لتدور حول الرجلين فاقدى
الوعى ، وهى تقول ، فى مقلت واضح :

- لقد قرأت ملفك كله يا سيد (أدهم) ، وعلمت أن سر
قوتك يكمن فى تلك التجربة القريذة ، التى قام بها والدك
الراحل ، عندما بدأ فى إعدادك كرجل مخبرات ، منذ كنت
فى الثالثة من عمرك .

أثار قولها شجوناً فى أصاقله ، إلا أن هذا لم يطف قط على
سطح مشاعره ، وبما ظل محتفظاً بهتسمته الساخرة ، وهنونه
الشديد ، وعيناه تتابعان حركتها بمنتهى البقة ، وهى تنزع
أحد حذاءيها بقدمها الأخرى ، متابعة بنفس المقت السافط :
- ولقد أدركت ، عندما قرأت ذلك الملف ، أننا لتشابه
كثيراً فى الواقع .

هزّ كنفه ، وتبع مراقبته لها ، وهى تنزع حذاءها للثنى ، قفلاً :

- رياه ! أنا فائن إلى هذا الحد ؟!

تايعت ، دون أن تتوقف عند تعليقه الساخر :

- فأنا أيضاً بدأت تدريباتى قبيل الثالثة من عمرى ، ولكن
تدريباتى اقتصررت على أمر واحد .

روايات مصرية للجيب .. رجل المستحيل

ثم اتخذت فجأة وقفة قتالية متحفزة ، وهى تضيف فى
حدة :

- القتال .

هزّ كنفه مرة أخرى ، دون أن تتغير وقفته الهادئة ،
وهو يقول :

- يا لها من قصة مؤثرة ! إننى أبذل جهداً شديداً ، حتى
لا تنهمر دموعى فى الواقع .

عاد حاجبها يتعقدان فى صرامة ، وهى تقول :

- ومن ينالى بدموعك يا سيد (أدهم) .

ثم وثبت نحوه فجأة ، صائحة :

- إننى أشد دمك .

كفّت وثبتها مرّة إلى حد مدّش ، وبدا جسدها قوياً إلى
حد عجيب ، وهى تنهى صيحتها بصرخة قتالية قوية ، مع
اتقاضتها العيفة المدروسة ، وقدمها تندفع نحو وجه
(أدهم) مباشرة ..

كان هجوماً قوياً ، وثقلاً ، مدروساً ، كفيلاً يسقط أى مقاتل
محترف ، إلا أن (أدهم) مل برأسه فى سرعة وخفة ، فنجّوزته

قدم (تيا) ، التي دارت حول نفسها في الهواء ، في سرعة مذهلة ، وعكست اتجاه سابقها ، في مرونة مذهلة ، لتحيط على (أدهم) بقدميها ، وهي تطلق صرخة قتالية أخرى ، ثم تلتصق بجسدها كله ، لتلوى عنقه بقوة ..

ولكن قبضتي (أدهم) ارتفعتا في سرعة ، وقبضنا على كاحليها ، وأدارتهما في قوة ، وهو يقول سلخراً :

- حركة بارعة يا فاتنتي .

وتراجع برأسه في مهارة مذهلة ، قبل أن تثب قدماء في الهواء ، وتحيطان وسطها ، ثم يدور جسده كله ، ليلقي بها عبر حجرة الطوريذات ، مستطرذاً :

- ولكنها لا تكفي لنيل دمي .

ارتطم جسد (تيا) بجدار الحجرة في قوة ، ولكنها هبطت على قدميها في خفة ، وانقضت فوراً على (أدهم) ، دون أن تطلق صرختها القتالية هذه المرة ..

وبحركة رشيقة ، وثبت إلى أعلى ، فرفع (أدهم) ذراعه لصد هجومها ، إلا أن جسدها هبط على نحو مباغت ، قبل أن ينزلق جسدها كله ، وتحيط سابقها بسابقه ، ثم تدور حول نفسها في قوة وسرعة ..

واختل توازن (أدهم) هذه المرة ، وكاد يسقط أرضاً ، لولا أن تثبت بأحد العواشير القوية ، الملاصقة للجدار ، ثم وثب إلى أعلى ، وركل (تيا) في صدرها ، قائلاً :

- حركة بارعة بالفعل يا فاتنتي .

سقطت (تيا) أرضاً مرة أخرى ، ووثبت واقفة على قدميها في سرعة وخفة ، وهي تقول في مقت :

- أعلم ما مشكلتك بالضبط يا سيد (أدهم) ؟!

ابتسم في سخرية ، وهو يقول :

- كلاً .. أخبريني أنت يا طبييتي النفسية .

اتخذت وقفة قتالية جديدة ، وهي تقول :

- أنت تحدث طوال الوقت ، وهذا يستهلك الكثير من أنفاسك ، ويقلل قدرتك على القتال .

أطلق ضحكة سلخرة قصيرة ، قبل أن يقول :

- رياه ! كيف لم أنتيه إلى هذا ، طوال كل عمليتي السابقة للالاحة !

صرخت في غضب :

- أيها المغرور .

وقرنت صرختها بوثبة قتالية مذهلة ، ارتفع لها حاجبا الزعيمة ، في مزيج من الدهشة والإعجاب ، وهي تغتم :
- رالع يا (تيا) .

كفت وثبتها بالفعل مزيج من الخفة ، والرشاقة ، والمرونة ، والبراعة ، والقوة ، والدهاء أيضا ، فقد انقضت بقدميها على منتصف جسد (أدهم) ، لتدفعه إلى اتخاذ وقفة دفاعية خاصة ، ثم دفعت قدميها فجأة إلى أعلى ، ليدور جسدها كله حول نفسه ، ثم تنقض قبضتها نحو عنقه مباشرة ، على نحو مباغت للغاية ..

وفي عالم القتال اليدوي ، يمكن أن تعتبر هذه الحركة نصرا حاسما حتميا ، نظرا لأن سرعة الاستجابة البشرية لا تسمح لأي مقاتل متفوق ، بتغيير وضعه الدفاعي في اللحظة الأخيرة ، للتصدي لضربة كهذه ..

ضربة كفيلة بتحطيم عنقه فوراً ..
بل سحقه سحقاً .

ولكن (أدهم) لم يكن مقاتلاً عادياً ..

لقد كان يختلف ..

يختلف كثيراً ..

فما أن أدرك أنه يواجه خصماً يفوق المعتاد ، حتى تبين سياسة قتالية جديدة ، تتناسب مع موقفه ، وقوة خصمه ..

فعندما وثبت (تيا) نحوه ، لم يتخذ وقفة قتالية على الإطلاق ..

فقط تابع انقضاضتها بعين كالصقر ، وعقل كالصاروخ ، وذهن يقظ متحفظ ..

وعندما أبدلت اتجاه حركتها ، بتلك البراعة المذهلة ، أدرك هدفها الحقيقي ، في جزء من الثانية ..

واتخذ وقفته الدفاعية الصحيحة في جزء ثان ..

ثم حول الموقف ، من الدفاع إلى الهجوم ، في الجزء الثالث من الثانية ..

وفي نفس اللحظة ، التي بلغت فيها قبضة (تيا) عنقه ، ارتفعت يده اليسرى بسرعة البرق ، لتزيج قبضتها عنه ، ثم دار جسده كله حول نفسه ، ليهوى مرفقه الأيمن على فكها كالتقبلة ، ويطيح بها بعيداً بعنف العنف ..

وعلى الرغم من قوة الضربة وعنفها ، لم يكد جسد (تيا) يسقط أرضاً ، حتى هبت واقفة على قدميها ، و ...

وفوجئت بـ (أدهم) أمامها مباشرة ، وأصابعه القولاذية تقبض على معصمها ، ثم تدبر ذراعها مع جسدها كله ، بحيث كبر حركتها ، وألصق وجهها بالجدار المعدني البارد ، وهو يقول سلخراً :

- أتعرفين ما مشكلتك أنت يا فانتني ؟

صرخت ، وهي تقتل للتخلص من قبضتيه القويتين :

- إنني أبغضك .

قال في هدوء قاس :

- هذه هي مشكلتك بالضبط .

دفع معصمها الأيسر نحو قبضته اليمنى ، التي تمسك معصمها الأيمن ، ثم ألصقت المعصم الأيسر ، ليقبض على المعصمين معاً بقبضته اليمنى ، في سرعة وقوة ، وبأصابع فولاذية ، عجزت (تيا) عن التخلص منها أو مكافحتها ، وهو يتابع :

- إنك لا تقتلين فحسب ، ولكنك تقهمين مشاعرك أيضاً في القتال ، وهذا يفقدك التركيز المناسب .

حاولت جاهدة أن تضربه بقدميها من الخلف ، إلا أنه اتخذ وقفة محترقة ، تمنعها من تحقيق ما تنشد ، فصرخت في بغض :

- إنك لن تفعل شيئاً .. قلت لك : إنني قد قرأت ملفك كله .. أنت لا تضرب النساء ، وهذه واحدة من نقاط ضعفك القوية .

هز كتفيه ، قاتلاً ، وهو يضغط بيده اليمنى على جانب عنقه :

- ومن قال إنني أفكر حتى في ضرب فانتة مثلك .

شعرت باحتقان في وجهها ، ويتلاحق في أنفاسها ، فصرخت :

- ماذا تفعل بي ؟

أجابها في هدوء عجيب :

- إنه شريكك العقلي يا عزيزتي .. مصدر التغذية الدعوية الرئيسي لخلايا مخك .. إنني أضغط على جزء خاص منه ، بحيث تقل الدماء التي تصل إلى المخ .. أتعلمين ما الذي يمكن أن يؤدي إليه هذا ؟

صرخت ، وهى تقاوم دوران رأسها فى استماتة :

- أيها الله ..

وقبل أن تتم صرختها ، أظلمت الدنيا أمامها بغشة ، وسقطت بين ذراعيه فائدة الوعى ..

وفى نفس اللحظة ، وبجذل واضح ، هتفت الزعيمة ، عبر أجهزة نقل الصوت فى الحجرة :

- رابع يا (أدهم) .. هذا ما كنت أتوقعه بالضبط .. لقد كان المشهد رائعاً بحق .. إنك لم تتغير كثيراً عما سبق .

أرقت (أدهم) (تيا) أرضاً فى رفق ، وهو يقول :

- أيعنى هذا أننا قد تعارفنا من قبل ؟؟

أجابته فى عدو جذل :

- بالتأكيد .

نهض ، قائلاً :

- لماذا لا تعرف صوتك السخيف إذن ؟؟

أطلقت ضحكة عابثة قصيرة ، قبل أن تقول :

- التكنولوجيا تطورت كثيراً ، فى الآونة الأخيرة يا (أدهم) .

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

- المشكلة أن إتلافها ما زال يحتاج إلى الجهد نفسه .

أطلقت الزعيمة ضحكة عابثة أخرى ، وهى تقول :

- إن يتلفها أحد هذه المرة يا (أدهم) .. ربما يذكرك

الأمر بأفلام (جيمس بوند) ، كما أخبرت (تيا) من قبل ،

ولكن الواقع يختلف كثيراً عن أفلام السينما ، يا رجل

المخابرات المصرى .. ففى عالمى ، ليس من الضرورى ،

أن ينتصر البطل فى النهاية ، خاصة وأننى أسيطر على

الأمر تماماً هذه المرة .

بدا عليه الاهتمام ، وهو يقول :

- حديثك يشير إلى أنها ليست المرة الأولى ، ومخاطبتك

لى بلا ألقاب ، يضى أن كلينا يعرف الآخر جيداً .

طلت ضحكتها العابثة هذه المرة ، وامتدت سياباتها إلى

زر صغير أمامها ، وهى تقول :

- رابع .. ها أنتذا تتنقل ، فى سرعة مذهشة ، من دور

(جيمس بوند) ، إلى دور (شيرلوك هولمز) .

قالتها ، ثم ضغطت الزر الصغير فى حزم ، مستطردة :
- ولكننى ، وأيا كانت الشخصية التى تتبعها ، ما زلت
أسيطر على الأمور تمامًا .

مع ضغطة الزر ، انطلق فى حجرة الطوربيد صوت
أشبه بصاعقة كهربية محدودة ، و ...

« محاولة جيدة يا زعيمة الأوغاد .. »

نطق (أدهم) العبارة فى سخرية ، فاحتقن وجهها بشدة ،
وكادت تسعل مع إطلاق دخان سيجارتها فى قوة ، وعيناها
تحدقان فى صورته على شاشتها بكل الدهشة ، فى حين
أشار هو إلى أنبوب إطلاق الطوربيد ، متابعًا :

- ولكننى ، وأثناء مرحلة التأمل الإجبارية ، دخل هذا
الأنبوب اللطيف ، أدركت أنك قد أضفت جهازًا صاعقًا آخر
إلى ملايىسى ، ولم يكن من العسير أن أكتشف وجوده فى
حزامى ، الذى تخلصت منه ، وتركته خلفى هناك .

التقى حاجباها ، وهى تتنطق نفسًا عميقًا ، من سيجارتها
الحمراء الطويلة ، وتواصل التطلع إليه على الشاشة ،
فأضاف هو ، فى سخرية مستفزة :

- والآن دعينا نتحدث مرة أخرى عن السيطرة الكاملة .

التقطت نفسًا عميقًا ، للسيطرة على مشاعرها وتفاعلاتها ،
وأثقت سيجارتها بعيدًا ، وهى تقول ، بأكبر قدر استطاعته
من الهدوء :

- بمناسبة الحديث عن المشكلات .. مشكلتى أنا أنسى
عقيدة للغاية يا عزيزى (أدهم) ، وما زلت أصر على أنسى
أمتلك السيطرة الكاملة هذه المرة .

قالتها ، وجذبت ذراعًا صغيرًا أمامها ، فارتلقت جدران
معدنية فجأة ، لتخلق كل مداخل ومخارج حجرة الطوربيدات ،
فى نفس اللحظة التى انفتحت فيها مجموعة فتحات عديدة ،
فى جدار الحجرة ، وانطلق منها صوت أشبه بالفحيح ..

صوت أدرك (أدهم) ماهيته على الفور ..

فذلك الفحيح ، كان يعنى أن الزعيمة تطلق نوعًا من
الغاز ، عديم اللون والرائحة ، داخل حجرة الطوربيدات
المعزولة ..

ومع ذلك الغاز ، امتلأت الحجرة برائحة رهيبية مخيفة ..
رائحة الموت .

٢- وجه العالم ..

امتثلت نفس الرئيس الأمريكى بتوتر غير محدود ، وهو يجلس أمام جهاز اتصال خاص ، فى مقر القيادة السرى ، وقال فى عصبية واضحة ، وهو يلوح بذراعه فى حدة :

.. لست أصدق هذا .. أنا .. رئيس أقوى دولة فى العالم ، وزعيم النظام العالمى الجديد ، أجلس هنا ، فى انتظار الاتصال بزعيم منظمة من منظمات الجاسوسية الخاصة ؟؟

غمغم مدير المخابرات فى توتر معانل :

.. المضطر يزكب الصعاب يا سيادة الرئيس .

اندفعت مستشارة الأمن القومى ، تقول فى حدة :

.. ولماذا الرئيس بالذات ؟؟ لماذا لا يجرى الاتصال أى أحد منا .

التقط مدير المخابرات نفساً عميقاً ، وقال فى عصبية :

.. مستر (X) يصبر على هذا .

قال وزير الدفاع فى غضب :

.. وهل من الضرورى أن نخضع له أيضاً ؟؟

قال مدير المخابرات فى صرامة :

.. وماذا لدينا للخسره ؟؟

صاحت مستشارة الأمن القومى :

.. كرامتنا .

التفت إليها مدير المخابرات ، قائلاً فى حدة معائلة :

.. حقاً ؟؟

لوحت بذراعها بنورها ، هاتفة :

.. ما تبقى منها على الأكل ؟؟

أشار مدير المخابرات إلى الشاشة ، قائلاً فى صرامة :

.. ما نفعله الآن هو محاولة للحفاظ على ما تبقى من

كرامتنا بالفعل .. ألا يمكنك إدراك هذا .

كانت تشتبك معه فى معركة كلامية ، لولا أن صاح

الرئيس فى عصبية شديدة :

.. كفى .. كفى .

لاذ جميعهم بالصمت ، واقعدوا حاجبا مستشارة الأمن القومى

فى غضب ، وهى تتصقق بالجدار فى حلق ، فى نفس الوقت

الذى ارتفع فيه أزيز خافت ، من جهاز الاتصال الخاص .
قاعدت المستشار في سرعة ، وهي تقول في عصبية :

- هل بدأ الاتصال ؟

أشار إليها مدير المخابرات أن نصعت ، في حين تلحج الرئيس . واعتل في مجلسه ، في توتر ملحوظ ، وتطلع إلى شاشة جهاز الاتصال ، التي أضلعت بقعة ، وظهر عليها وجه مستر (X) الغارق في الظلمة كالمعتاد ، وهو يقول بصوت صيق ، تدخلت التكنولوجيا لتغييره ، ومنحه رنيناً أثياً عجيباً :

- مرحباً يا سيادة الرئيس .

تلحج الرئيس مرة أخرى ، وهو يقول ، دون أن ينجح في إخفاء توتره :

- ما الذى تعرضه علينا بالضبط يا مستر (X) ؟

أجاب مستر (X) في سرعة ، وكثما يتوقع السؤال وينتظره :
- المعلومات .

اعتقد حاجبا مستشارة الأمن القومي في حلق ، وهي ترمق مدير المخابرات بنظرة قاسية ، في حين تساءل الرئيس بنفس التوتر :

- أية معلومات ؟

أجاب مستر (X) في حزم :

- المعلومات التى تلتزمكم ، للتغلب على تلك الحقيبة .

بدأ الاهتمام على وجوه الجميع ، والرئيس يسأله :

- وهل تلك هذه المعلومات بالفعل ؟

صمت مستر (X) لحظة ، ثم قال :

- إلى حد ما .

صدمت عبارته أسماعهم ، وقالت مستشارة الأمن القومي في حدة :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

وفي الوقت نفسه تقريباً ، اندفع وزير الدفاع ، يتسائل في عصبية :

- وما مصلحتك فى التعاون معنا ؟

ترجع مستر (X) فى مقعده ، وإن لم يخرج وجهه من دائرة الضوء ، وشبك أصابعه أمام وجهه ، وهو يقول :

- معذرة يا سيدي ، ولكن توضيح الأمور يحتم إجابة سؤال الوزير أولاً .

لم يبد أن جوابه هذا قد راقها ، إلا أنها تراجعت ، قائلة
في عصبية :
- فنيكن .

لما التابون ، فقد أرفقوا لسماعهم في اهتمام ، ومستر (X)
يجيب :

- الواقع أن مصلحتي تفوق مصلحتكم في هذا الشأن ،
وإن أوجت الأمور بالعكس ، فذلك الحقيبة بنت إمبراطوريتها
كلها ، على حطام إمبراطوريتي .. أو جزء منها على الأقل .

غمضت مستشارة الأمن القومي في عصبية :

- نعت أفهم هذا .

قال مدير المخابرات في صرامة :

- أنا أفهمه .

استدارت إليه بحركة محتدة غاضبة ، إلا أنه تجاهلها
تماماً ، وتابع حديث مستر (X) الذي استطرد ، وصوته
يحمل رنة غضب واضحة :

- لقد باغتني بهجوم سلق ، في مقرى السرى ، الذى كنت
أصوّر أن لحداً أن يكشف أمره ليذا ، ولكنها استخدمت تكنولوجيا
شديدة لتطور لتعقب إشارة الاتصال ، وتحديد موقعى بدقة .

مطت المستشارة شففتها ، وقتت في ازدراء :
- إن فقد هزمتك أيضاً .

هز مستر (X) رأسه نقياً ، وهو يقول :

- لقد ربحت جولة فحسب ، ولكنها لم تهزمنى بعد ، بدليل
أنتى أتحدث إليكم الآن ، من مقر سرى آخر ، لم تتوصل
لتكشفه .. حتى هذه اللحظة على الأقل .

قال الرئيس في توتر :

- نحن أيضاً نتحدث إليك من مقر سرى ، لم تتوصل
لتكشفه ، ولن يمكنها أن ..

قاطعه مستر (X) فجأة في صرامة :

- لا تتلبأ بالأحداث المستقبلية يا سيادة الرئيس .

زمر وزير الدفاع ، وهو يقول في حدة :

- هذا المقر سرى للغاية ، حتى إن ..

قاطعه مستر (X) أيضاً :

- وكذلك كانت شفرة الاتصال بالأقمار الصناعية ، ونظم
الأمن في البيت الأبيض ، وشبكة الاتصالات الداخلية ، و ...

قاطعته الرئيس هذه المرة ، فى عصبية زائدة :

- كفى .

ثم تراجع فى مقعده ، متسائلاً فى صرامة :

- إنك لم تقدم ما لديك بعد .

صمت مستر (X) يضع لحظات ، قبل أن يعادل فى مقعده ، ويقول فى حزم :

- لقد تقدمت بعرض واضح يا سيادة الرئيس .. سأقدم لكم ما جمعته من معلومات ، عن تلك الحقيبة ، منذ هاجمت وكبرى السرى ، وكل المعلومات التى سأحصل عليها ، وستحصل عليها منظمى ، المتشعبة فى كل أنحاء العالم ، والمتنشرة على نحو يفوق التشعار مخبراتكم المركزية نفسها ، ولأنتم تعلمون أن هذا سيساعدكم كثيراً على مكافحتها ، وتفادى أضرارها ، واستعادة السيطرة على الموقف ، و ...

صمت لحظة - قبل أن يضيف فى صرامة :

- وإنقاذ هبة (أمريكا) .. زعيمة النظام العالمى الجديد .

وجم الأربعة لقلوله ، وتبادلوا نظرة صامتة متوترة ، قبل أن يتابع مستر (X) ، وقد أدرك أنه قد سيطر على الموقف ، إلى حد ما :

- السؤال الآن هو : ما الذى ستقدمه لى زعيمة النظام العالمى الجديد بالمقابل .

اتعقد حاجباً وزير الدفاع ، ومهمته مستشارة الأمن القومى بعبارة غير مفهومة ، وسرت قشعريرة باردة فى جسد مدير المخابرات ، فى حين تعمل الرئيس فى مقعده ، وهو يقول :

- كم تطلب بالضبط ؟

أجابه مستر (X) ، فى سرعة ، وصرامة :

- الأمر لا يتعلق بالنقود يا سيادة الرئيس ، فندى منها ما قد يفوق ما لديكم أنتم .

بدت عبارته مبالغة للغاية ، فسأله الرئيس فى حدة :

- ماذا تطلب إذن ؟

التقط مستر (X) نفساً عميقاً ، وعاد يعيل إلى الأمام ، وهو يقول فى حزم :

- سأخبركم يا سيادة الرئيس .. سأخبركم ما الذى أطلبه فى المقابل .

قلها ، ثم أعلن مطلبه ..

وأتسعت العيون كلها في دهشة مستكرة ..

فما طلبه كان غير متوقع ..

ومفاجئاً ..

بحق ..

بذل قائد قوات الزعيمة الغامضة جهداً شديداً بالفعل ،
لكي يشد قامته كالمعتاد أمامها ، وهو يقول :

- أوامرك يا سيدي .

قالت ، دون أن تدبر عينيها عن شاشة المراقبة ، التي
تطالعها في اهتمام بالغ :

- اقرب .. أردت أن ترى هذا .

اقرب منها في حذر ، وهو يتساءل :

- وما هذا ؟

أشارت إلى الشاشة في هدوء ، وهي تنفث دخان
سيجارتها الحمراء الطويلة ، في ببطء واستمتاع ، فقال
برأسه ليتابع الشاشة بدوره ، قبل أن تسرى في كتابته
المنفاضة قوية - ويتعقد حاجباه في شدة .

فعلى شاشة المراقبة ، كان (أدهم) يترنج داخل حجرة
الطوربيدات ، وهو يتحرك في سرعة ، بحثاً عن مخرج من
المكان ، في حين ينتشر فيه ذلك الغاز ..

وينتشر ..

وينتشر ..

« هل نجا ؟ »

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفثيها ، عندما ألقي لقد
قواتها السؤال في توتر ، وزمقه بنظرة جلقبية ساخرة ،
وهي تقول :

- إذن فقد كنت تعلم ما يواجهه .

ارتبك بشدة ، وهو يقول :

- تلك الصيتية (تيا) ، أخبرتني أن ..

قاطعه بإشارة صارمة من يدها ، والتقطت نفساً عميقاً
من سيجارتها ، نفثته في اتجاه الشاشة مباشرة ، وهي
تقول في صرامة :

- اصمت ، ودعنا نتابع .

أطبق شفثيه ، لم توتر لم يشعر بمثله ، لم حياته كلها من قبل ، وواصل مراقبة الشائسة ، التي بدا عليها (أدهم) ، وقد فقد جسده توازنه ، إلى حد كبير ، على الرغم من كتماته أنفاسه لفترة طويلة ، والجهد المريب الذي بذله للمقاومة ، ثم لم يلبث أن تهاوى أرضاً ، وأنفاسه تتلاحق على نحو عجيب ، فتساءل القائد في اهتمام متوتر :

- هل .. هل مات ؟؟

هزأت الزعيمة رأسها نفياً في بضع ، وقالت في هدوء :

- إنه غار منوم ، وليس غاراً قتلاً .

تراجع محاولاً شد قامته ، وهو يغتم :

- آه .

تطفا بمنتهى الانقباض والتوتر ، فالتفتت إليه بنظرة ساخرة ، وقالت في هدوء ، وهي تسترخي في مقعدها :

- سيستمر تبعث الغاز لخمس دقائق أخرى ، حتى نضمن أن صديقنا (أدهم) لا يكدحنا بشيوبة زلقة ، أو أن مقنومته تفوق ما تصورناه ، وبعدها سيتم شطف الغاز من الحجرة ، ونفتح أبوابها ، وعليكم عندئذ إعادة ضيفنا المصري إلى زنازنته الإلكترونية ، وبعدها ..

بترت عبارتها بقعة ، فحقق قلبه في عصف ، وتابعها ببصره في توتر بالغ ، وهي تتنطق نفساً عريقاً من سيجارتها ، ثم تنطقه في بضع واستمتاع ، وتسترخي في مقعدها أكثر وأكثر ..
والنظر القائد أن تتابع حديثها ..

والنتظر ..

والنتظر ..

وطال صمتها ، وهي تواصل نثث سيجارتها بمنتهى البطء ، وشفثاتها تحملان ابتسامة غامضة ، ثم يفهم مقراها بالضبط ، فقال في عصبية شديدة :

- ماذا بعدها أيتها الزعيمة ؟؟

ورأى ضحكة تتلظى في عينيها ..

ضحكة ساخرة ، شامتة ، وحشية ..

ضحكة لم تتلظى إلى شفثيتها قط ، وهي تعكس في مقعدها ، قلقة :

- فلنترك ما بعد لما بعد أيها القائد .

ثم عللت تسترخي في مقعدها ، وهي تشير بيدها ، مستطردة في حزم أمر :

- أما الآن ، فعليك تنفيذ أوامري فحسب .

استجمع ما تبقى من أعصابه ، وقال في قوة :

- أوامرك أيتها الزعيمة .

ثم اندفع لتنفيذ الأمر ، إلا أنها استوففته فجأة في صرامة :

- أيها القائد .

شعر بقلبه يخلق في عنف ، وهو يلتفت إليها ، فاعتذرت مرة أخرى ، قائلة في صرامة أقرب إلى الشراسة :

- بالنسبة للحارمين و (تيا) ضع كل منهما في زنزاة منفصلة ، حتى أصدر أوامري بشأنهم .

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يتسائل في توتر :

- في زنزاة أيتها الزعيمة ؟

ألقت سيجارتها بعيداً ، وهي تجيب في شراسة :

- نعم .. في زنزاة أيها القائد .

وعادت تسترخي في مقعدها ، وهو يغادر المكان ! لتنفيذ أوامرها ، ولم يكد يغلّق الباب خلفه ، حتى أطلقت الزعيمة الغامضة ضحكة طويلة ..

ضحكة ظافرة ، ساخرة ، شامتة ..

ووحشية ..

« لست أصدق حرقاً واحداً من هذا .. »

نطقت مستثمرة الأمن القومي الأمريكية العبرة ، في عصبية شديدة ، قبل أن تلتفت لمواجهة الرئيس ، مستطردة :

- ذلك الرجل يحاول خداعنا بوسيلة ما .

انعقد حاجبا الرئيس في توتر ، وتراجع في مقعده بحركة عصبية ، وألصق وزير الدفاع ظهره بالجدار ، وهو يفرك نكته في حدة ، في حين شدّ مدير المخابرات قامته ، وهو يقول في حزم :

- لست أظن هذا .

ازداد انعقاد حاجبي الرئيس ، ومستشارته تقول في حدة :

- هل تصدق ما قاله ؟

أجابها مدير المخابرات ، في سرعة وحزم :

- بالتأكيد .

احتقن وجهها بشدة ، وغصّ حلقها بعبرة سالخطة ، عجزت عن الالتفات من بين شفتيها ، فقال الرئيس في حقن :

- إته زعيم إجرامى يا مدير المخابرات .. ربما يروق له

أن يوصف بأنه زعيم لمنظمة كبيرة ، ولكن الواقع أنه مجرد مجرم ، لا يختلف كثيراً عن دونات (المافيا) ، فكيف يكون مطلبه الوحيد هو أن تتعاون معه ، عندما يحتاج إلى هذا .

قال مدير المخابرات في صرامة :

- إنه ليس بالمطلب البسيط .

اعتدل وزير الدفاع ، وهو يقول في حدة :

- كان يمكنه أن يطلب ما يفوق هذا .

استدار إليه مدير المخابرات ، قائلاً في صرامة أكثر :

- وما الذي يمكن أن يفوق هذا ؟

تطلع إليه الجميع في غضب ، ولكنه تابع بنفس الصرامة :

- من الواضح أنكم تجهلون تمامًا قيمة المعلومات ، في

زمن كهذا .. دعوني أوضح لكم إذن أنها أخطر سلاح في العصر الحديث ، ولو أننا وافقنا على ما طلبه مستر (X) مقابل خدماته ، وارتبطنا معه بعقد تبادل معلومات ، أو مشاركة معلومات دائم ، نحمل توقيع الرئيس ، سيعني هذا أنه ، وبعد هذه الأزمة ، لو أنها مرت بسلام ، سنكون

ملزمين بتبادل كل ما نحصل عليه من معلومات مع منظّمته ، وهذا يتضمن التقارير السرية ، من كل أنحاء العالم ، وصور الأقمار الصناعية ، وحتى البيانات البيولوجية^(١) .. باختصار ، سمعته كل قوتنا المعلوماتية ، في نفس الوقت الذي ينبغي أن نتلقى فيه شره ، حتى لا يتحوّل إلى شوكة في ظهورنا فيما بعد .

بدأ وزير الدفاع صارماً بدوره ، وهو يقول :

- ولكننا سنحصل على ما نلديه من معلومات أيضاً .

صاح مدير المخابرات :

- هذا صحيح ... وسيعاوننا أيضاً في القضاء على تلك

الزعيمة القلعة ، بكل ما يملك من معلومات ، وقوة ، وإرادة ، أيضاً ، فإذا ما تقشّرت القشرة ، لن يمتعه أي شيء في الوجود ، من أن ينقلب علينا ، ويستغل كل ما لديه من معلومات ضدها .

(*) تتجسّس البيولوجي : أبحث فرع من فروع تتجسّس ، بدأ مع نهائيات القرن العشرين ، ويعتمد على الحصول على أية عيّنات حيوية ، من الطيور ، وحتى الأصغاف ، لتحديد بقعة الجينية لكل من يمان مولده ، في أي وقت من الأوقات ، وحتى يمكن تعرّف جثة الخصم ، أو ثلثاته ، أو حتى سمكه النفسية وتاريخه المرضي ، العلى والمستقبلي أيضاً .

هتفت مستشارة الأمن القومي :

- مستحيل !

سألها مدير المخابرات في صرامة :

- ولماذا مستحيل !

أجابته في حدة :

- لأنه سيظل بحاجة إلينا دوماً ؛ ليتفوق على الآخرين ..

تماماً مثل إسرا ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، فالتفت حاجبا الرئيس في توتر ، وتراجع وزير الدفاع في عصبية ، في حين قاتل مدير المخابرات بنفس الصرامة :

- مثلك (إسرائيل) .. أليس كذلك ؟؟

احتقن وجهها بضغ لحظات ، حذت خلالها فيه في مقت ، قبل أن تهتف في شراسة :

- بلى .. مثلك (إسرائيل) .. ومذا في هذا ؟؟ ألسنا نتعاون معها ، ونمنحها كل ما لدينا من معلومات ، منذ نصف قرن من الزمان أو يزيد .. هل تقلبت علينا يوماً ؟؟

صاح بها مدير المخابرات :

- هل تقلبت علينا ؟! أجبرني نفسك على زيارة واحدة لمكتبى ، وسأضع أمامك الملف الخاص بعمليات التجسس الإسرائيلية علينا ، ولكنتى أقصحك بالحصول على إجازة طويلة ؛ لأن الملف أضخم مما يمكنك تصوّره .

احتقن وجه المستشارة أكثر ، وهى تقول :

- الإسرائيليون ليسوا أعدائنا .. العرب هم ..

« كفى .. »

قاطعهم الرئيس بتلك الصيحة الصارمة ، وهو يضرب سطح مكتبه برأسته ، فالتفت لكل إليه في توتر ، ليتابع فى صرامة عصبية :

- إن نضيع الوقت فى جدل عقيم ، وتلك القمضة تتربص بنا .

التفتض وزير الدفاع ، وهو يقول فى حزم :

- القرار لك يا سيادة الرئيس .

حفر التوتير سماته فى وضوح عجيب ، على وجه الرئيس الأمريكى ، وهو ينقل بصره بين وجوههم ، فى عصبية

غير محدودة ، قبل أن يعاود الجلوس خلف مكتبه الاحتياطي ، ويقول :

- ستوقع ذلك العقد ، مع مستر (X) .

ولم ينبس أحدهم بحرف واحد .

فقرار الرئيس الأمريكي كان خطيراً للغاية ..

والى أقصى حد ..

فالتوقيع على ذلك العقد السرى ، كان كفيلاً بتغيير وجه العالم كله ..

إلى الأسوأ .



٤- القرار ..

فى بطن شديد ، راح ذهن (أدوم) يستعيد صفاءه رويداً رويداً ..

ولأنها ليست أول مرة ، يخوض فيها مثل هذه المواقف ، فقد كان يكتفيه قدر قليل من الوعى ، ليستوعب موقفه الجديد .. ودون أن يفتح عينيه ..

لقد عاد إلى زنزاقته الإلكترونية بالتأكد ..

تلك الزنزاقية ، التى تتم مراقبته داخلها ، بأحدث وأدق نظم الأمن الرقمية الفائقة ..

وفى مكان ما ، داخل تلك الفواصة العجيبة ، التى اتخذتها الزعيمة الغامضة وكراً لها ، فى أعماق المحيط الأطلنطى ، كان هناك من يراقب حركاته ، وسكناته ، ويحصى نبضاته وأفئاسه ، ويراقب حتى اهتزاز جفونه ..

لذا ينبغي أن يظل صامتاً ساكناً ، كما لو أنه لم يسترد وعيه بعد ..

على الأقل ، حتى يضع خطة العمل ، فى المرحلة التالية ..

إنه بالتأكيد أصعب موقف واجبه ، في حياته كلها ؛
فالتزاة التي وضعوه بها ، تكاد تكون منيعة ، إلى حد
مدهش ، ووسائل الأمن والتأمين ، داخل تلك الفوضىسة ،
توحى كلها بأن الإفلات مستحيل !

مستحيل تمامًا !!

ولكنه لم يتوقف يوماً أمام تلك الكلمة ..

كلمة (مستحيل) ..

إنه محترف بالتقدير الكافي ، ليدرك أنه ما من نظام أمني
محكم مائة في المائة ، مهما بلغت عبقريته واضعه ..

هناك حتماً ثغرة ما ، في مكان ما ، عليه أن يبحث عنها ،
ويكشف أمرها ، وعندئذ سيمكنه أن يضع خطته ..

وبكل خبرته وإرائته وحزمه ، راح يعصر خلايا مخه
الرمادية ، بحثاً عن تلك الثغرة ..

راح يعصرها ..

ويعصرها ...

ويعصرها .

و ...

« لقد استعاد وعيه .. »

نطقت الزعيمة العبارة في تلمذ شرس ، وهي تنفتخ دخان
سيجارتها الحمراء الطويلة ، في ببطء واستمتاع ، وتتطلع
مسترخية إلى شاشات الرصد ، المتصلة بزرزلة (أدهم) ،
فتتحجج قالد قواتها في عصبية ، وهو يتسائل :

- وكيف عظمت أيتها الزعيمة !! صورته المقرية على
الشاشة تؤكد أنه ما زال غارقاً في غيبوبته العميقة ، بعد
كل ما استنشقه من الغاز العنوم .

التقطت نفساً صيقاً من سيجارتها ، قبل أن تقول بليستامة
غامضة :

- إنه محترف .

أدار قالد قواتها عيونه إليها في تساليل ، فتأبعت بنفوس
الابتسامة ، التي بحثت في جسده قشعريرة مخيفة :

- وخبرته مع نكته ، يكفيان لخداع أمثالك ، من محدودى
العقل والتفكير .

بدا عليه الغضب ، فألقت سيجارتها بعيداً ، وهي تضيف :

- وحتى العباقرة والمحترفين من أمثالى .

زمر قائد قواتها ، قاتلاً في سخط :

- أنا أيضاً محترف .

رمقه بنظرة ساخرة سريعة ، قبل أن تتجاهل عبارته تماماً ، وتشير إلى شاشات الرصد الإلكترونية ، مستطردة :

- ولكنه لن يخدع هذه الآليات المتطورة أبداً .

ثم لوحت بيدها ، بحركة مسرحية أثيقة ، مضيفة :

- وكلها تؤكد أنه قد استعد وعيه ، منذ ست دقائق على

الأقل .

حنق قائد قواتها في شاشات الرصد بضع لحظات ، ولكنه لم يستطع أبداً استيعاب تلك الأرقام والمتحنيات العديدة ، فركز بصره على الشاشة ، التي تنقل صورة مقربة لوجه (أدهم) بضع لحظات ، قبل أن يهز رأسه في قوة ، قاتلاً في إصرار :

- مستحيل أيتها الزعيمة ! لو أنه استعد وعيه بالفعل ، منذ ست دقائق كاملة ، فلماذا يظل ساكناً ومغمض العينين على هذا النحو .

أشعلت سبجارة حمراء طويلة أخرى ، بقداحتها العاسية الأنيقة ، ونفثت دخانها في قوة ، قاتلة في هدوء :

- إنه يعيد دراسة الموقف ، ويبحث عن ثغرة ما ، في نظامنا الأمني .

بدا قائد قواتها أشبه بالأنبله ، وهو يحدث فيها ذاهلاً مستكراً ، قبل أن يهز رأسه في قوة ، هاتفاً :

- مستحيل ! مستحيل وألف مستحيل ! الشخص الذي يفقد وعيه لفترة طويلة ، لا يمكنه أن يستعيد صفاء ذهنه بهذه السرعة ، و ...

قاطعه بصراصة مفاجئة :

- الشخص العادي .

ثم أشارت بأصابعها الممسكة بسيجارتها نحو شاشة المراقبة ، وهي تتابع في لهجة عجيبة ، حملت لمحة من الإعجاب والاحترام ، إلى جوار صرامتها الشرسة :

- وليس هذا الرجل .

اتخذت حاجباً قائد قواتها في حلق ، وهو ينقل بصره بينها ، وبين صورة وجه (أدهم) على الشاشة ، قبل أن يقول في بطء غاضب ، يكتم ثورة رهيبية ، تحتكم في أعماقه :

- هذا الرجل مجرد رجل عادي أيتها الزعيمة ، ولقد كنا نطلقه كطوربيد بشري ، في قلب الأصمق ، لولا أن ..

قاطعته ، وهي تعادل بحركة حادة شرسة :

- كدنا .

ارتبك بشدة ، مع قولها هذا ، وبذل جهداً خارقاً ليتماسك ، وهو يقول :

- أعضى كادت (تيا) أن تغفل .

قالت في بطنه :

- (تيا) ؟

ثم تراجع في مقعدها فجأة ، وهي تطلق ضحكة عاتية عابثة مجلجلة ، انتفضت لها كل خلية في جسده ، وامتقع معها وجهه بشدة ، وتوقع منها أن تواجهه بحقيقة ما حدث ، حتى إن أصابعه قد تحسست مقبض مسدسه بحركة آلية غريزية ، إلا أنها اعتذلت فجأة ، مع أزيز حاد تطلق من أحد أجهزتها ، واستدارت بمقعدها الأثيق نحو ذلك الجهاز ، لتلقى نظرة على ما ارتسم على شاشته ، قبل أن تهز كتفها ، قائلة في سخرية وحشية :

- رابع .. اللعبة تزداد إمتاعاً في كل لحظة .

تتحنن قلند قوائها مرة أخرى ، وهو يقول في توتر :

- أيتها الزعيمة .. أريد أن أخبرك أن ..

قاطعته بإشارة صارمة من يدها ، وهي تقول في شراسة مخيفة :

- اصمت .

ثم أدارت إليه عينين ملتبهيتين ، تحملان كل صارمة ووحشية الدنيا ، وهي تضيف بعنفها العنف :

- غادر المكان فوراً .

كانت كل ثرة في كيانه تشعر بتوتر غير محدود ، إلا أنه شد قامته ، في حركة عسكرية قوية ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، هاتفاً :

- أوامرك أيتها الزعيمة .

قالها ، والدفع مغافراً ، تاركاً الزعيمة وحدها في مقرها ، تنفث دخان سيجارتها الحمراء الطويلة في شراة شديدة ، وهي تراجع البيانات الرقمية ، التي وصلت إلى جهاز الاتصالات الخاص بها ، قبل أن تتراجع في مقعدها ، وترسم على شفيتها ابتسامة ساخرة متلذذة ، وهي تقول :

- إذن فقد فعلوها .. عظيم .. هذا سيعلمهم عدم العبث معي مرة أخرى بالتأكيد .

قالتها ، ثم أطلقت ضحكة طويلة ..

ضحكة عذبة ..

شريرة ..

ووحشية ..

★ ★ ★

« كل أقمارنا الصناعية عجزت عن تحديد موقع تلك الغواصة !! »

نطقت مستشارة الأمن القومي الأمريكية العبارة في غضب ، وهي تطلع آخر التقارير ، الواردة من كل نظم الأمن المختلفة ، ثم لوحت بذراعها في حيرة ، مستطردة :

« ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟! »

قال وزير الدفاع فى غلظة :

« ربما يعنى أنه لا وجود لها ، إلا فى مخيلة المصريين فحسب . »

اندفع مدير المخابرات ، يقول فى حزم :

« أو أنها تستخدم وسيلة متطورة ، للشوشرة على الأقمار الصناعية . »

تساعل الرئيس فى عصبية :

« أيهما الأرجح ؟! »

تبادل الثلاثة نظرة متوترة ، قبل أن يقول مستشارة الأمن القومي فى عصبية :

« الاحتمالان متساويان للأسف . »

بدا الرئيس أكثر عصبية ، وهو يقول :

« وكيف نرجح أحدهما على الآخر ؟! »

عادوا يتبادلون النظرة ذاتها ، قبل أن يثب وزير الدفاع قامته ، قائلاً :

« ربما يحتاج الأمر إلى تدخل الأسطول ، لتعشيط مياهاها الإنكليزية كلها . »

اتفق حاجبا الرئيس ، وهو يتطلع إليه فى توتر ، ثم لم يلبث أن التفت إلى مدير المخابرات ، متسائلاً :

« أيمكن أن يفيد هذا ؟! »

أجاب مدير المخابرات فى سرعة :

« ربما . »

ضرب الرئيس سطح المكتب الصغير ، في مقر القيادة
المري ، وهو يهتف في غضب مستكر :

- ربما ؟! أهذا ما يمكنني أن أحصل عليه ، من أهم
وأخطر ثلاثة أشخاص في الإدارة كلها ؟! ربما ؟!

أشاح مدير المخابرات بوجهه في توتر ، فقال وزير
الدفاع في محاولة لتهنئة الرئيس :

- الاحتمال كبير ، في هذه الحالة يا سيادة الرئيس .

لوح الرئيس الأمريكي بذراعيه كليهما في حدة ، وهو
يهتف :

- ماذا تنتظرون إذن .. أطلقوا الأسطول في المحيط .

قال وزير الدفاع في سرعة :

سأعمل على تنفيذ هذا فوراً .

واندفع نحو أجهزة الاتصال ، لتنفيذ أوامر الرئيس ، في
حين تساعل مدير المخابرات في قلق :

- ترى هل تم إعداد عقد الاتفاق ، مع مستر (X) ؟!
المفترض أن يتم الاتصال ، بيننا وبينه ، خلال ربع الساعة
فحسب ..

مط الرئيس شفتيه ، والتفت إلى مستشارة الأمن القومي
بنظرة متسائلة ، مفعمة بالتوتر والانفعال ، فتحننت في قوة ،
قليلة :

- مستشارنا القانوني الخاص يرجع بنود الاتفاق ، وسيصبح
جاهزاً للتوقيع ، في الوقت المحدد .

أطلق مدير المخابرات زغرة ملتبهة ، من أعماق أعماق
صدره ، قبل أن يقول :

- أتعلم أن تكون خطوتنا هذه صحيحة .

زجر الرئيس ، قهلاً :

- ليس أمامنا حل آخر .

تمتم مدير المخابرات :

- للأسف !

همت مستشارة الأمن القومي بهاجمته بعبرة ما ، إلا أن
وزير الدفاع اعترض عبارتها دون أن يلوي ، وهو يعتدل قهلاً :

- كل شيء على ما يرام يا سيادة الرئيس .. معظم قطع
الأسطول تلقت مواقعها بالفعل ، وبقي قطع في طريقها إلى
المواقع ، التي تم تحديدها لها ، وفقاً للخطة الاحتياطية (ب) .

تعمق الرئيس في توتر :

- بهذه السرعة ؟

أجابته وزير الدفاع ، في لهجة حملت تبرة زهو :

- قطع الأسطول كانت منتشرة في المحيط بالفعل بإسيادة الرئيس ، منذ كنا نبحث عن مقاتلتنا ، التي أتت بها ذلك المصري ، واختفت دون أن تترك خلفها أدنى أثر . ولقد أمرت ببقلها في موقعها ، عندما اختارت تلك للزعيم ساحل (نورفك) موقعاً للقاء ببديك . ولهذا كانت مستعدة الآن .

مطت مستشارة الأمن القومي شفيتها ، قائلة :

- وهل ينبغي أن نصف لهذا ؟

رمقها الرئيس بنظرة صارمة غاضبة ، فاحتقن وجهها في توتر ، في حين قال مدير المخابرات في اهتمام :

- هل تشارك غواصتنا أيضاً ؟

أشار وزير الدفاع بسميته ، قائلاً :

- بالتأكيد .. ويمكننا متابعة كل التحركات من هنا .

ضبط زراً في لجدار ، فالتصيت شاشة كبيرة ، في منتصف الحجرة ، وظهرت عليها عدة نقاط مضبوطة حمراء ، وأخرى خضراء ، وأشار إليها الوزير ، متابعاً في حزم :

- هذه خريطة للمحيط الأطلنطي ، والحدود المرسومة هنا ، هي مياها الإنكليزية ، والنقاط الحمراء تمثل مواقع المدمرات ، وحاملات الطائرات ، أما الخضراء ، فتحدد مواقع غواصتنا .

تابع الكل تحرك النقاط المضبوطة على الشاشة الكبيرة ، وتساءل الرئيس في اهتمام :

- ترى كم سيستغرق هذا ؟

هزّ وزير الدفاع رأسه ، قائلاً :

- لا أحد يمكنه الجزم ، بإسيادة الرئيس .

ران عليهم الصمت لحظات ، ثم قال الرئيس في حدة :

- لم يكن من الأجدي أن يمنحنا مستر (X) المتحلق هذا ، معلومة كهذه ؟

ضعفت مستشارة الأمن القومي ، وهي ترمق مدير المخابرات بنظرة جانبية ، تحمل كل مقت الدنيا :

- ربما يجهلها أيضاً .

أسرع مدير المخابرات يقول :

- أو أنه لن يمنحنا إياها ، إلا بعد توقيع الاتفاق رسمياً .

- وصاح الرئيس في غضب .

- فريست لديكم أية أجوبة حاسمة ، لأى سؤال ألقى عليكم ؟

بدا التوتر على وجهي وزير الدفاع ، ومستشارة الأمن القومي ، في حين قال مدير المخابرات في حزم :

- الموقف كله لا يسمح لنا بالحسم يا سيادة الرئيس ، ولكنها مسألة وقت فحسب ، فما هي إلا دقائق ، وتلتقي بمستر (X) و ...

قاطعته فجأة شهقة قوية ، انطلقت من حلق وزير الدفاع ، فلفتت لكل إليه في سرعة ، ورأوه يحنى في تلك اللحظة للجلبية المضينة ، التي تحمل خريطة المحيط ، وتوزيع وجركة قطع الأسطول ، قبل أن يشير إليها ، في قرعاع ما بعده قرعاج :

- رباه ! لقد اختلفت إحدى حاملات طائراتنا فجأة .

التفص جسد الرئيس في عنف ، وهو يهتف :

- اختلفت ؟

مع نهاية مناله ، اختلف نقطة حمراء أخرى في الخريطة ، ثم تبعها ثالثة ، على نحو جعل مستشارة الأمن القومي ترتجف ، وهي تهتف :

- مستحيل !

- مستحيل !

أما مدير المخابرات ، فقال في عصبية شديدة :

.. أمن الممكن أن ..

قبل أن يتم عبارته ، انطلق رنين الهاتف السري الخاص ، في مقر القيادة الاحتياطي ، فارتعد حاجبا الرئيس في شدة ، وهو يلتقطه ، مغمما في عصبية شديدة :

- أرجو ألا ...

قبل أن يتم عبارته ، تجعد لسانه في حلقه بفتة ، وامتنع وجهه بشدة ، وزاغت عيناه في محجريهما ، وهو يستمع إلى محدثه ، عبر الهاتف السري ، فهتفت مستشارة الأمن القومي ، في صوت خافت ملتاع :

- أهى ..

قاطعتها الرئيس ، وهو يقول في مرارة :

- إنها هي .

ثم أنهى المحادثة ، دون أن يجيب محدثه ، وهو يضيف ، في لهجة أقرب إلى الانهيار :

- لقد سجلت حاملات طائرات ، ومدمرتين بمدفع الليزر

الفضائي ، الذي تسيطر عليه .. سجلتهم تماما .

وهوت قلوب الجميع بين أقدامهم ..
بمعتهى العنف ..

★ ★ ★

« فى قاموس رجل المخابرات الناجح ، لا وجود لكلمة
(مستحيل) !! »

تردّت العبارة فى ذهن (أدهم) ، وهو يسترجع كل
ما لفته إياه والده الراحل ، فى سنوات حدثته الأولى ،
وما اعتقه مبدئاً لحياته كلها ، منذ وعى الدنيا ..

لا وجود لكلمة مستحيل !

كل شيء له مخرج حتماً ..

وكل نظام أمنى يحوى ثغرة ما ..

على الأقل ثغرة واحدة ..

المهم هو أن نعلم أين هى ؟؟

أين ؟؟

أين ؟؟

أجبر جسده على الاستقرار ، على الرغم من صعوبة الموقف
المحيط به ، وراح يسترجع كل ما حدث ، منذ بداية الأحداث ..

كل موقف ..

كل حديث ..

كل جملة ..

بل كل كلمة ..

وكل حرف ..

كان عليه أن يدرس الموقف كله ، بأدق التفاصيل ،
وبمعتهى الهدوء ، حتى يعثر على تلك الثغرة ، التى لم تعد
تعنى نجاة من هذا السجن العصيب فحسب ، وإنما قد تعنى
إنقاذ العالم كله ، من سادية مجنونة ، تسعى للسيطرة عليه ،
بلا رحمة أو هوادة ..

من الواضح أنها تستخدم تكنولوجيا شديدة التطور ، مع
قاعدة معلومات رهيبية ، تصل إلى أكثر البقاع أماناً وحراسة ..

ثم إنها تملك تمويلاً مالياً هائلاً ، يتيح لها الحصول على
كل ما يلزم ، للتفوق على تكنولوجيا دولة عظمى ، مثل
الولايات المتحدة الأمريكية ..

استعاد ذهنه لحظات سقوطه في المحيط، وظهور تلك القوامة الهائلة، وفقداته الوعى، و...

توقف ذهنه فجأة، عند مشهد بعينه، وتركزت حوله أفكاره بشدة، وأطلق عقله يعمل كالصاروخ؛ لتحليله وتمحيصه، واستيعاب أدق تفاصيله.. وفي أعماق أعماقه، ارتسمت ابتسامة، لم تطف على ملامحه قط، وإن لم يعد يبالي كثيراً بالتظاهر بأنه لم يستعد وعيه بعد..

بل على العكس تماماً، بدأ يحرك يديه وقدميه، دون أن يفتح عينيه، ليعلم لمن يراقبه، أنه يستعيد وعيه بالفعل.. ومع تحركاته، التى بدت عشوائية تماماً، كانت يدها وقدماه تلحسان كل ما يلاصق جسده، بمنتهى الخفة والسرعة والمهارة..

كان يرقد على فراش مطاطى لخن، من ذلك الطراز المستخدم في المستشفيات، والعيادات الطبية، وإلى جواره جدار من المعدن، تثبتت فيه مجسات إلكترونية مختلفة، لقياس ورصد حركته، وتنفسه، وحتى نبضه..

وفي الجدار المقابل، كانت هناك آلات التصوير والمراقبة..

وبمنتهى التركيز، راحت يده تعمل.. وتعمل..

وتعمل..

« لا داعى للتظاهر يا سيد (أدهم) .. أعلم أنك قد استعدت وعيك، منذ فترة طويلة .. »

تردد صوت الزعيمة، داخل الزنزانة الإلكترونية الصغيرة، ففتح (أدهم) عينيه، وابتسم فى سخرية، وهو يعتدل فى نشاط، ليجلس على طرف فراشه، قائلاً :
- آه .. هو أنت مرة أخرى -

أطلقت الزعيمة ضحكة عابثة، رننتها الأجهزة الصوتية داخل الزنزانة، قبل أن تقول :

- نعم .. هو أنا يا عزيزى (أدهم) .. أنا التى تعرقك، أكثر مما تعرفك أية أنثى فى الدنيا .

فجرت عبارتها قلماً قديماً فى أصله، إلا أن الوقت لم يكن يسمح بالتفكير فى أمور قديمة، لذا فقد طرح مشاعره كلها خلف ظهره، وحافظ على ابتسامته الصاخرة؛ ويده تواصل عملها فى سرعة؛ أسفل غطاء الفراش، ولمساته يقول :

- عجباً ! كنت أقصّر أن المعرفة تحتاج إلى لقاء واحد على الأقل .

قالت فى سرعة :

- لقد التقينا كثيراً بالفعل .

اتعقد حاجباه ، وهو يقول فى حذر :

- أبغى هذا أنك تستخدمين أحد وسائل تغيير الأصوات الإلكترونية مثلاً ؟؟

أطلقت ضحكتها العابثة مرة أخرى ، وقالت :

- أنت رجل مخبرات يا عزيزى (أهم) ، ومثلك يعلم جيداً أن المعلومات تجعلك تعرف أى شخص ، وتلتقى بالفكره طويلاً ، دون أن يواجه أحدكما الآخر مرة واحدة .

سألها بنفس الحذر :

- أهذا ما كنت تقصدينه ؟؟

أطلقت ضحكة عابثة قصيرة ، وقالت فى خبث :

- ربما .

استعد لتسلطه السلخرة ، وهو يرفع يده اليمنى ، ويلوح بها أمامها قائلاً :

- آه .. أنت تميلين إلى الغسوض إذن .. عظيم .. هذا يناسب أسلوب أفلام السيلا ، الذى تستخدمينه منذ البداية .

قالت فى برود :

- أهذا ما تظنه ؟؟

هتف فى حماس مصطنع :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى السور الإلكتروني الكهربي ، المحيط بمعصمه ، وهو يقول فى سخرية :

- حتى أسلوب سوار الحركة هذا ، استعمرته من أحد الأفلام السينمائية الرديئة .

أجابته بنفس الهدوء :

- ربما ولكن الأمر يستحق .. أليس كذلك ؟؟

دفع سبابته بحركة سريعة ، بين معصمه والسوار ، وهو يقول بنفس السخرية :

- من يدري .. ربما تثبت التجربة العكس ، عندما أنتزع هذا السوار فى قوة ، وألقيه فى وجه آلات المراقبة هنا .

قالت فى صرامة هذه المرة :

- أنت تعلم أن هذا مستحيل .

قال في تحد :

- هذا ما نقولينه أنت .

مضت لحظة من الصمت ، عندما أدركت الزعيمة أنه يحاول استغلالها ، قبل أن تستعيد تماسكها ، ونقول في ههنا ، حمل نبرة صارمة ، ثم نستطع السيطرة عليها :

- ما تفعله غير مجد يا عزيزي (أهم) : فكلنا يعلم أنك لن تجازف بنزع هذا السوار الأمني ، خاصة وأنت كرجل مخبرات ، تدرك طبيعته جيدًا .

هز كتفيه بلا مبالاة ، وهو يجيب :

- حتى رجل المخبرات ، يحتاج في بعض الأحيان إلى تجربة حية .

ثم جذب السوار فجأة ، هاتفاً :

- كهذه .

صاحت في آليته :

- لا .. لا تفعلها .

ومع صيحتها ، انتفض جسد (أهم) بعنف العف ، كما لو أنه قد تلقى صاعقة عنيفة ، وجمشت عيناه عن آخرهما ، وتصلب جسده كله ، مع شهقة عجيبة ، انطلقت من حلقه ، قبل أن يسقط أرضاً ، وقد همدت حركته .. تماماً .



لم يكد وجه مستر (X) للفرق في الظلمة ، يظهر على شاشة جهاز الاتصال الخاص ، في مقر القيادة السري ، للإدارة الأمريكية ، حتى صاح به الرئيس في عصبية :
- تلك الحقيبة نسفت ثلاث قطع ، من أسطولنا البحري ، خلال الدقائق الماضية .

أجابه مستر (X) في هدوء لم يتوقعه أحدهم :
- أعلم هذا .

هتفت مستشارة الأمن القومي ، في غضب مستنكر :
- تعلم !!

وصاح الرئيس الأمريكي في حدة :

- عظيم .. من الواضح أن الكل أصبح يعظم الكثير ، عن
ألق أسرارنا ، في حين نجهل كل شيء عن أسرار
الآخرين .

قال مدير المختبرات في عصبية :

- ليس إلى هذا الحد يا سيادة الرئيس .

فاستدارت إليه مستشارة الأمن القومي ، هاتفة في خلق :
- حقاً !!

احتقن وجه مدير المختبرات ، وهم بالاشتباك معها كلامياً ،
لولا أن أوقفهما وزير الدفاع ، بإشارة حازمة من يده ،
وهو يسأل مستر (X) :

- وكيف علمت ذلك !!

أجابه مستر (X) في هدوء عجيب :

- إتينا منظمة قوية بياسيادة الوزير ، ومن الطبيعي أن
تكون لنا عيون وأذان ، في قلب صفوفكم .
سأله الرئيس :

- وهي أيضاً لها عيونها وأذانها .. أليس كذلك !!

هز مستر (X) كتفيه ، وقال :

- أمر طبيعي .

هز وزير الدفاع رأسه في قوة ، وهو يقول :

- ولكن الأسطول كان في مواقعه بثقل .. معظم قطعه على
البحر ، وهي لم تهلجمه بمدفع التيزر القضي ، إلا عندما تلقى
أمراً بالبحث عن غواصتها ، وهذا يعني ..

قلاطعه مستر (X) في حزم :

- أن عينها وأذنها قد بلغت القيادة العليا .. ليس كذلك !؟

اتخذ حاجبا الرئيس الأمريكي في شدة ، وتراجع في مقعده بحركة حادة ، في حين قال مدير المخابرات ، في صرامة متوترة :

- ولكن هذا أشبه بالمستحيل ، فالتقديرات العليا يتم اختيارها بدقة شديدة ، وبعد تحريات أمنية مكثفة .

حمل صوت مستر (X) ، المعدل ليكترونياً ، لمحة ساخرة ، وهو يقول :

- حقاً !؟ وماذا عن (روبرت هاتسن) (١٢) ؟

(*) روبرت هاتسن : جنسوس تم كشفه ، في عام ألفين ، في أعلى وأرق مناصب مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي . بعد أن ظل يعمل لحساب السوفييت لأكثر من اثنين وعشرين عاماً ، تولى خلالها مسئولية أرشفة كل المعلومات الخاصة بالنشاط السوفييتي ، وأصبح مسئول الاتصال ، بين مكتب التحقيقات الفيدرالي ، والمخابرات المركزية الأمريكية ، مما منحه الصلاحية الكاملة ، لفحص كل ملفات الكمبيوتر ، وكشف كل أسرار الدولة ، التي باعها جميعها لسوفييت ، ثم لجهات المخابرات الروسية فيما بعد ، وعلى الرغم من ارتكابه بعض الأخطاء الثقيلة ، لم يتم كشف أمره إلا بعد اثني عشر عاماً من البحث والتحقيقات .

اتخذ حاجبا مدير المخابرات في شدة ، وهو يقول في عصبية :

- (هاتسن) حالة خاصة جداً ، يصعب تكرارها .

قال مستر (X) إلى الأمام ، قائلاً :

- من الواضح أنها قد تكررت يا مدير المخابرات .. ليس مرة واحدة ، بل عدة مرات ، وأمامي هنا ملف أنيق ، يمكنكم اعتباره هدية توقيع عقد الاتفاق المعلوماتي بيننا ، وهو يحوى قائمة بأسماء عدد من رجالكم ، في القيادات العليا ، في الأمن القومي ، ووزارة الدفاع ، والمخابرات المركزية ، ومكتب التحقيقات الفيدرالي ، الذين يعملون كعميون وأذان ضدكم ، ويحوى أيضاً أرقام حساباتهم السرية ، في بنوك (سويسرا) ، التي يودعون فيها مقابل نقل المعلومات إلى الآخرين .

اتسعت عينا وزير الدفاع في ارتياح ، واتخذ حاجبا مستشارة الأمن القومي في شدة ، وتراجع مدير المخابرات كالمصعوق ، في حين تتمم الرئيس ذاهلاً :

- إلى هذا الحد .

هز مستر (X) كتفيه ، واسترخى مرة أخرى في مقعده ، وهو يقول :

- كان ينبغي أن تتوقعوا هذا .

تبادل الجميع نظرة عصبية ، قبل أن يتمالك مدير المخبرات نفسه ، ويقول في حزم ، وهو يعقد كتفيه خلف ظهره :

- بالتأكيد .

أخفت الظلمة المحيطة بوجه مستر (X) تلك الابتسامة الظافرة ، التي تألفت على شفتيه ، وهو يقول :

- والآن ، هل نوقع عقد الاتفاق ؟!

أجابته الرئيس الأمريكي ، بصوت جاف مختنق :

- لقد وقعنا العقد بالفعل ، وسيتم إرساله إليك فوراً ، وفقاً لما طلبته ، وعليك أن تعيد إلينا نسختنا الموقعة منك ، مع ذلك الملف ، الذي تحدثت عنه .

حمل صوت مستر (X) ارتياحه الشديد ، وهو يقول :

- عظيم .. فور وصول العقد ، سيبدأ بيننا عهد من الـ ...

بتر عبارته بفتة ، مع أزيز خلف ، تطلق من ناحيته ، ونقله جهاز الاتصال الخاص إلى أسماعهم ، فتصاعدت مستشارة الأمن القومي في توتر :

- ما هذا بالضبط ؟!

روايات مصرية لتجيب - رجل مستحيل

أجابها مستر (X) ، في شراسة شديدة :

- إنه إنذار من نظم الاتصال الخاصة هنا .

وتضاعفت شراسته ، وهو يضيف في غضب :

- إنذار بأنكم تسعون لتعقب الاتصال ، وتحديد موقعي السري .

تراجع الرئيس في حدة ، وهتف مدير المخبرات :

- مستحيل !! لقد اخترعنا اتفاقاً الأول ، ولم نحاول تتبع اتصالك ، بأي حال من الأحوال .

صاح مستر (X) في ثورة :

- ولكن هناك من يتعقب الاتصال ، و ...

بتر عبارته بفتة ، وتراجع بحركة حادة في مقعده ، هاتفاً في صوت خافت ، حمل رنة ارتياح :

- يا إلهي ! إنها ..

وقبل أن يتم هتافه ، وشب ينهي الاتصال بضغطة زر ، فانطفأت الشاشة على الفور ، وهتفت مستشارة الأمن القومي :

- ما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟!

٧ - رجى المستر عبد (١٩٨٨) الخطبة (ب) .

قال وزير الدفاع بصوت مرتجف :

- ألم تستوعبي الأمر بعد ؟

وأضاف مدير المخابرات ، في توتر شديد :

- إنها هي !

واتسعت عينا الرئيس الأمريكى ، والتفصص جسده كله ..

بقوة ..

التقى حاجبا الزعيمة الغامضة فى شدة ، وهى تحقق فى شاشة الرصد ، التى بدا عليها جسد (أدهم) ، الملقى على أرضية زلزائته . وقد سكنت حركته تماما ، وبدا أقرب إلى الموت ، منه إلى الحياة ..

وبنظرة سريعة ، فحصت كل شاشات الرصد الحيوية ..

كلها كانت تعلن أنه ما زال على قيد الحياة ..

ولكن قلبه كان ينبض فى بطء ..

بطء شديد ..

بطء قد يعنى أنه يلفظ بالفعل أنفاسه الأخيرة ..

ولكن ماذا لو أنه يخدعها ؟

جال الاحتمال بخاطرها ، وهى تحقق فيه ، وذهنها بعيد دراسة الأمر كله ، فى محاولة لاتخاذ قرار حاسم ..

وسريع ..

لقد رآته بعينها يجذب تلك السوار بسيابته ، وهى تعلم أن هذا كفيل بإطلاق شحنة كهربية عنيفة ، فى جسده كله ..

ولو أن جذبته كانت أكثر قوة ، لاتفجر السوار الأمنى الإلكتروني ، ونسفه نسفاً ..

وهى لا تريد أن يموت ..

ليس فى هذه المرحلة على الأقل ..

فرايها حوله لم يتغير ..

المتعة ليست فى قتله ..

بل فى هزيمته ..

ولقد خططت منذ البداية ليكون هنا ، عندما تحقق الاتصال بها ..

فى قبضتها ..

كانت تريد أن يرى لحظة الفوز الكبرى ..

لحظة سيطرتها على العالم ..

العالم كله ..

لذا لا ينبغي أن يموت ..

ليس الآن ..

وبحركة حاسمة ، اعتدلت تضغط زر الاتصال الداخلي +

لتهاتف بقائد قواتها :

- طوارئ في زنزانة رجل المخابرات المصري .. اذهب

مع طاقم إسعاف فوراً .. ابدلوا قصارى جهدكم ، حتى يظل

حيًا .. هل تفهم ؟! أريده حيًا !

أناها صوت قائد قواتها ، وهو يقول في حماس مصطنع :

- أوامرك أيتها الزعيمة .

رفعت عينها مرة أخرى إلى شاشة الرصد : لتراقب

(أدهم) الملقى أرضًا ، قبل أن تكرر عبر جهاز الاتصال

الداخلي :

- حيًا يا رجل !

تكرر قائد القوات بدوره :

- أوامرك أيتها الزعيمة .

تراجعت في مقعدها وحاولت عبثًا أن تسترخي ، وهي تنقبط

واحدة من سجلها الحمراء ، وعيناها مغلقتان بشاشة الرصد ..

وعلى مسافة متر واحد منها ، صدر صوت إلكتروني

من جهاز اتصال لا محدود : قبل أن يبدأ في طباعة ورقة ،

ألفت هي نظرة سريعة عليها ، ثم التفتها مغممة :

- عظيم ..

ثم توح لهجتها باهتمامها الكبير بالأمر - على الرغم من

أهميته وخطورته ، وكأن كل ما يشغل ذهنها ، في تلك

اللحظات ، هو مصير (أدهم) ..

فقط ..

وعلى الشاشة ، رأت قائد قواتها ، مع اثنين من رجاله ،

وأخرين من طاقم الإسعافات الطبي ، يتحتمون زنزقة (أدهم)

الصغيرة ، والتي نقلت إليها أجهزة التنصت فيها صوت قائد

القوات ، وهو يقول في حزم :

- أسرعوا بإسعافه .. الزعيمة تريده حيًا .

لم يبق لها قوله هذا ، داخل زنزقة (أدهم) ، ونفثت دخان سيجارتها في شئ من التوتر ، وهي تراقب حركة الرجال الخمسة ، داخل الزنزقة الصغيرة ، التي اضطر حجمها المحدود رجال الأمن إلى التراجع ، لإفساح الطريق لرجلي الإسعافات ، اللذين التحيا للفحص (أدهم) ، فغمضت في ضيق :

- خطأ -

لم تكد تتم عبارتها ، حتى انقلبت الأمور رأساً على عقب ، في سرعة مخيفة ومدهشة ، خفق معها قلبها في عنف ..

فلفجأة ، وبلا مقدمات ، دب نشاط جم في جسد (أدهم) ، فوثب واقفاً على قدميه ، وركل أقرب المسعفين إليه ، وهو يقول :

- معذرة ، ولكنك تعوق طريقى -

ارتفعت فوهات مدافع قائد القوات ورجليه نحوه مباشرة ، إلا أنه تحرك بسرعة مذهلة ، ومرونة تتجاوز كل الحدود ، فوثب متجاوزاً رجل الإسعاف الثاني ، وركل مع وثبته المدفع الآلى ، الذي يحمله أحد الرجلين ثم دفع الرجل نفسه نحو قائده ، وهو يلتقط مدفعه في الهواء ، في نفس اللحظة التي أطلق فيها الرجل الثاني رصاصات مدفعه نحوه مباشرة ..

وفي مساحة صغيرة محدودة كهذه ، كان من المستحيل أن يخطئ ذلك الجندي المرتزق المحترف هدفه ..

ولكن الهدف نفسه ، لم يكن هدفاً عادياً :

لقد كان هدفاً خاصاً للغاية ..

هدف يحمل لقباً فريداً بين أقرانه ..

لقب (رجل المستحيل) ..

ففي الفراغ الضيق ، داخل الزنزقة الصغيرة ، وثب (أدهم) متعلقاً بأعلى القضبان ، متفادياً الرصاصات ، التي انطلقت نحوه مباشرة ، والتي لم تجده في طريقها ، فاستقر بعضها في الجدار ، والبعض الآخر في جسد المسعفين ، اللذين سقطوا أرضاً ، وتفجرت دماؤها في المكان ..

وكإصرار قوى غنيف ، انقض (أدهم) على حامل المدفع الآلى ، وأمسك معصمه بقوة ، ليؤويه بحركة حادة ، وقبضته الأخرى تهوى على فك الرجل كالثقبلة ..

وقبل أن يسقط الرجل أرضاً ، كان زميله ينقض على (أدهم) ، وقائده يرفع فوهة مدفعه الآلى نحوه ..

ويحركه مونة مدروسة ، أمسك (أدهم) ذراعى الرجل المتعلق

بعنقه ، وطوّح به بكل قوته ، ليرتطم بقائده ، الذي انطلقت رصاصات مدفعه الآلى فى سقف الممر الخارجى ، وهو يرتطم بجداره فى عنف ..

ومع تلك المشهد ، تحركت الزعيمة فى سرعة ، وضغطت زر إغلاق باب الزلزلة الإلكترونية ، فى لوحة التحكم الشاملة أمامها ، وهى تقول فى حلق :

- لجة يارعة بحق يا (أدهم) .. من الواضح أنك لم تفقد مهارتك المتميزة بعد ..

إثر ضغطتها ، تحرك باب الزلزلة فى سرعة ، فى طريقه إلى الإغلاق ، و (أدهم) ما زال داخلها ..

وتحرك (أدهم) أيضاً بمنتهى السرعة ..

وكان سباقاً بين الرجل والآلة ..

سباق يمكن أن ينتهى بخروجه من تلك الزلزلة الإلكترونية ، أو سجنه داخلها مرة أخرى ..

والسجن سيعنى هذه المرة أن فرصته فى النجاة ستخفض إلى حد مخيف ..

حد قد يبلغ الصفر ..

وتم يكن لديه استعداد لهذا ..

أدنى استعداد ..

لذا ، فقد وثب (أدهم) ..

وثب وثبة الأهلث الزعيمة تقسمها هذه المرة ، مع قوتها ، ومرونتها ، والزاوية العسيرة التى اتخذتها ..

وثبة جعلته ينفذ عبر الفراغ المتبقى ، بين جدار الزلزلة ، وبابها الذى ينزلق نحوه فى سرعة ..

وعندما أتم الباب رحلته ، كان (أدهم) خارج الزلزلة بالفعل ..

وفى مواجهة رجلين من المقاتلين المحترفين ، أحدهما يحمل مدفعاً آلياً ، ويصوبه إلى صدره مباشرة ، وهو يهتف ، عبر جهاز اتصال داخلى محدود ، النقطة من حزامه :

- النجدة .. طوارئ قصوى ، فى الممر (م - ٧) .. طوارئ قصوى ..

وقبل أن يكتمل هتافه ، كان يتضغط زناد مدفعه الآلى ، ويطلق رصاصاته ، نحو صدر (أدهم) ..

مباشرة ..

وتحرك (أدهم) بأقصى سرعته ، محاولاً تقليد قرصاصات ، ولكنه شعر بعمود من النار ، يخرق كتفه اليسرى ، وينفذ منها ، وهو يشب بحركة مزدوجة : ليركل المدفع الآلى من يد قائد القوات ، ويحطم أنفه فى اللحظة نفسها ..

ويغضب هائل ، هب الرجل الآخر ، لينقض على (أدهم) ، وهو يطلق صرخة وحشية رهيبية ..

كان (أدهم) يحمل بالفعل ذلك المدفع الآلى ، الذى التقطه من الرجل الأول ، إلا أن غريزته التلقائية ، التى لا تميل إلى القتل وإراقة الدماء ، إلا للضرورة القصوى ، جعلته يستقبل انقضاضه جندى المرتزقة الضخم بالحناءة سريعة ، تجاوزت قبضته ، التى كمت الهواء ، قبل أن تغوص قبضة (أدهم) فى معدته كمطرقة من الفولاذ ، ثم ترتفع لتحطم ثلاثة من أسنانه ، بقلعة ساحقة ..

وفى قوة وحزم ، وعلى الرغم من الدماء التى تنزف من إصابة كتفه ، اعتدل (أدهم) ، حاملاً مدفعه الآلى ، ليواجه آلات المراقبة فى المعمر ، وهو يقول ساخراً :

.. أتعشم ألا يكون هذا قد فاجأك ، يا زعيمة الأوغاد !

فاجأه صوتها الهادئ المتماسك ، وهى تقول :

.. مطلقاً يا عزيزى (أدهم) ، فمعت ينبغى أن يتوقع المرء أى شيء ، وكل شيء ..

أدهمه هدوؤها بحق ، فقلل بشيء من الحذر ، دون أن يتغلى عن ابتسامته الساخرة :

.. من الواضح أن هذا لم يزعجك !

أجابته بنفس الهدوء :

.. ربما فى اللحظات الأولى فحسب ، ثم لم أبحث أن استوعبت الأمر كله فى سرعة ، وعلمت كيف فعلتها ، وخاصة بعد أن راجعت تقارير مجسّات الحركة ، التى لم أفهم مغزاها فى حينه .

سألها فى سخرية :

.. وما الذى توصّلت إليه أيتها العبقريّة ؟؟

بدت له هادئة ، أكثر مما ينبغى ، وهى تقول :

.. الفرائس العطاشى يا عزيزى (أدهم) .. لقد استرعت

بعض القطع منه ، وحشوتها بين معصمك والسوار ، لتصنع منها عازلاً ، يقيك الصدمة الكهربائية ، التى يمكن أن تنطلق منه ، عند محاولة قترّاعه المحدودة ، والتى تظاهرت بالإصابة بها ، على نحو تستحق معه جائزة (الأوسكار) ، لبراعة الأداء التمثيلى .

هز رأسه في سخرية ، قتلًا :

- كنت بارعة بحق .

سألته في اهتمام واضح :

- الأمر الذي لم أفهمه بعد ، هو كيف انخفضت نبضات قلبك على هذا النحو ؟

هز كتفيه ، وهو يقول :

- إنه أمر بسيط يا زعيمة الأوغاد ، يعتمد على التوافق بين معدلات التنفس والنهض .. مهارة بسيطة ، يمكن أن يكتسبها أي ممارس لطقوس (اليوجا)^(*)

صمتت لحظة ، ثم قالت بهدوئها السابق :

- يبدو أن مهارتك بلا حدود يا عزيزي (أدهم) .

قال في سرعة وسخرية :

- أخجلتم تواضعنا يا زعيمة الحمقى .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

- وبمناسبة الحديث عن الحمقى .. أراهن أنهم سينفقون هذا

(*) اليوجا : كلمة سنسكريتية ، معناها (اتحاد) وتطلق على الممارسات الصوفية في الهندوكية . وهي تعتمد على تخصص الإنسان من المشاعر الجسدية والحسية وإطلاق ملكات روحه ، عن طريق بعض التدريبات الدقيقة المتواصلة ، التي تشمل الجسد كله ، داخله وخارجه .

روايات مصرية تلجيب .. رجل المستحيل

١٠٩

بعد لحظات ، بعد تداء الاستغاثة المذخور ، الذي أطلقه ذلك الفحل ، الذي يرتدى زي القيادة ، قبل أن يفقد وعيه ، والمفترض أن أستعد لاستقبالهم كما ينبغي .

أنته ضحكاتها العائشة ، قبل أن تقول :

- كلاً يا عزيزي (أدهم) ، يوسفني أن أخيب توقعاتك هذه المرة ، ولنكني ألقيت تداء قائد قواتي ، إذ لم يبد لي ضرورياً إلى حد ما .

وأطلقت ضحكة قصيرة أخرى ، لتضيف بعدها في سراسة :

- فلم يحدث فارق كبير .

مع قولها ، هبط حاجزان من الصلب ، في سرعة مباغثة ، لإغلاق العمر من طرفيه ، وهي تتابع :

- لقد تغير حجم زمرائك فحسب .

ومع آخر عبارتها ، تردد في العمر المغلق صوت ضحكاتها الساخرة الظفيرة ..

وانعك حاجبا (أدهم) ..

لقد بذل أقصى طاقته هذه المرة ، ولم يحظ إلا بالفشل ..

الفشل الذريع .

٦ - المصيدة ..

بدا الاهتمام واضحاً ، على وجه المساعد الأول ، لمدير المخابرات المصرية ، وهو يضع أمام هذا الأخير برقية قصيرة ، وصلت على التو من (واشنطن) ، قائلاً :

- لقد بدأت الخطة الاحتياطية يا سيادة المدير .

التقى المدير نظرة على البرقية ، التي تحوى جملة تقليدية واحدة ، وقال فى شيء من الارتياح :

- عظيم .

قال المساعد فى حذر :

- لم نتوصل بعد إلى أية معلومات مؤكدة ، بخصوص سيادة العميد (آدم) يا سيادة المدير .

مطّ المدير شفتيه ، وهو يهز رأسه ، قائلاً :

- هناك مثل يريطقى قديم ، يقول : « لا أخبر بغيري لأخبراً جيّدة .. »

قال المساعد بنفس الحذر :

- ليس بالضرورة يا سيّدى .

اعتدل المدير ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم نهض إلى خريطة العالم ، المعلقة على جدار حجرة مكتبه ، متابعاً :

- ولكننا بحثنا كل الاحتمالات ، وتأكدنا فى النهاية من أنه لم يلق مصرعه فى قلب المحيط ، ولما كانت مقاتلته لم تصل أبداً ، إلى السواحل الأمريكية ، فهذا يعنى أنه ما زال هناك .

وأشار بسنابته إلى الخريطة ، مستطرداً فى حزم :

- فى قلب المحيط الأطلنطى .

تساءل المساعد فى اهتمام :

- أشير إلى نظرية الفوأصة الخفية يا سيّدى ؟

التفت إليه المدير ، قائلاً فى حزم :

- لم تعد مجردة نظرية يا رجل .

وعاد إلى مكتبه ، قبل أن يتابع فى رصاة ، لم تكل من

الاهتمام :

ما فعلته تلك الزعيمة الغامضة ، منذ أقل من ساعة واحدة ، يؤكد أن تلك الغواصة موجودة بالفعل ، في مكان ما ، تحت مياه المحيط ، وأنها تمنع أية محاولة للغور عليها ، أو تحديد موقعها مهما كان الثمن .

هذه المساعدة رأسه في اهتمام مماثل ، وهو يقول :

— هذا صحيح يا سيدي .. لقد نسفت حاملة طائرات ومدمرتين ، من قطع الأسطول الأمريكي ، خلال دقيقة واحدة ، بواسطة ذلك المدفع النيزكي القمضي ، الذي يحمله القمر الصناعي الدفاعي ، الذي سيطرت عليه تمامًا ، وكان من الطبيعي أن يتشغل الأمريكيون بالانشغال المصابين ، والبحث عن جثث القتلى ، وأن يوقفوا فوراً عملية تنشيط المحيط ، بحثاً عن تلك الغواصة ، التي أقرروا أن صاحبها لن تسمح لهم بالغور عليها قط .

أشار المدير بسبائقه ، قائلاً :

— بالضبط .

صمت المساعد بضع لحظات ، ثم قال في أسف :

— الأمر يبدو باتّغ الخطورة هذه المرة بإسيادة المدير ، فمع كل المحاولات المجنونة ، للسيطرة على العالم ، تبدو لي هذه الأقرب إلى تحقيق الهدف .

هذه المدير رأسه نفياً ، وهو يقول في حزم :

— مستحيل ! لن يتحقق هذا أبداً .. لا أحد أمكنه أن يبلغ هذا ، عبر التاريخ كله .

تردد المساعد بضع لحظات ، قبل أن يقول في حذر :

— وماذا عن (أمريكا) ؟

أجاب المدير برصائته الحازمة :

— ربما تتصور (أمريكا) أنها زعيمة العالم ، وأنها قادرة بالفعل على السيطرة عليه ، ولكن مجريات الأحداث ، في الآونة الأخيرة ، تشير إلى عكس هذا تمامًا ، ففي موضوع (العراق) مثلاً ، تآزر العالم كله تقريباً ضدها ، وتم تويدها سوى (بريطانيا) فقط تقريباً ؛ لأسباب سياسية واقتصادية .

قال المساعد في اهتمام :

— وعلى الرغم من هذا ، فقد تحدثت العالم كله ، وهاجمت (العراق) ، واحتلته عسكرياً بالفعل .. ألا يثبت هذا سيطرتها على العالم ؟؟

ابتسم المدير ، قائلاً :

- بل يثبت أنها من الصفاقة والغرسة ، بحيث تتحدى العالم كله ، ولكن ما فعلته أورثها مقت وكراهية العالم كله ، كما خلق موجة من السعى للتفوق ، والاستقلال الاقتصادي والسياسي عنها ، حتى إن بعض الدول تقادى بإلغاء منظمة الأمم المتحدة ، مع كل ما تملكه (أمريكا) في استيرات داخلها ، على رأسها حق الفيتو ، أو الاعتراض على قرار تطلعت عليه الدول جميعها ، وإنشاء منظمة دولية جديدة ، تتساوى فيها حقوق الدول ، ولا يصدر القرار فيها إلا بموافقة معظمهم ، دون أن تكون نلية نولة لحقية الاعتراض ، أو إلغاء لقرارات قهر^(*) ، وهذا يعني أن (أمريكا) تنفذ زعماتها للعالم بالفعل ، وخذاها متى كلمة ، لن يمضي عقد آخر من الزمان ، حتى ترى انهيارها الداخلي بعينيك ، وتدرك كيف تنهار الحضارات ، عندما يفزوها غرور القوة والغرسة .

وافقه مساعده بإيماءة من رأسه ، وقال :

- هذا ما نتمناه جميعاً يا سيدي ، ولكنني أعقد أن تلك تزعمية قلابضة يمكن أن تفوق (أمريكا) ، في هذا المضمار ، نظراً لجهل الجميع بشخصيتها ، وموقعها ، وحتى أسلوب عملها .

(*) حقيقة .

تنهّد المدير ، قائلاً :

- هذا صحيح .

ثم اعتدل ، مستريحاً في حزم :

- إنها تتحرك في سرعة ، وتضرب ضرباتها لئون هودة ، ودون أن تمنح الآخرين فرصة للتدبير والتفكير ، وحسن اتخاذ القرار .

أشار المساعد بيده ، قائلاً :

- هذا جزء من براعة اللعبة يا سيدي .

قال المدير في سرعة :

- بل هو كل البراعة هذه المرة ، فأستلونها المدروس أريك القيادات ، في الإدارة الأمريكية ، ودفعتهم نحو سلسلة من المعارك المتصلة ، على نحو يحبس أنفسهم ، ويهزق أذهانهم ، ويمنعهم من التفكير بروية وهذوء ، حتى يمكنهم اتخاذ القرارات العقلانية المناسبة .

ابتسم المساعد ، وهو يقول :

- في رأيي ، إنها تلعب على وتر غرسة لقوة الأمريكي ، في الإدارة الحالية .

أشار إليه المدير بسبأته مرة أخرى ، قاتلاً في حزم :

- بالضبط .

هز المساعد رأسه ، قاتلاً :

- ولكن مع براعتها وسرعتها ، يمكنها أن تبلغ مرحلة بلغة الخطورة والقوة ، قبل أن ينتبهوا إلى هذا ، ويخفقوا من غولهم وخطرتهم ، ويدعون في التعامل معها كما ينبغي .

تنهد المدير ، قاتلاً في أسف :

- هذا بالضبط ما تعتمد عليه ، وأظن أنها قد حققت بعض أهدافها الكبرى بالفعل ، في مرحلة الصراع الأولى .

قال المساعد في توتر ، وقد استوعب مدى خطورة الموقف :

- يا إلهي ! لابد من تحذير الأمريكيين ، بأسرع وسيلة ممكنة ، حتى يمكنهم تغيير أسلوبهم ، قبل أن ..

قاطعه المدير في حزم :

- لقد فعلت .

تطلع إليه المساعد ، في تساؤل متلهف ، فتابع بنفس الحزم :

- ولكنهم تجاهلوا تحذيرنا تماماً ، باعتبار أنهم يعرفون عن الموقف أكثر مما نعرف ، وأنهم قادرون على التعامل معه بحرفية أكثر .

ثم أدار عينيه إلى الخريطة الكبيرة ، مضيقاً :

- لذا ، فالأمن الوحيد في إيقاف طموحات تلك الزعيمة المبهوسة بالسيطرة على العالم - بعد الله (عز وجل) هو (ن - ١) .

واستدار إليه مرة أخرى مستدركاً :

- لو أنه ما زال على قيد الحياة .

وسرت قشعريرة باردة كالثلج ، في جسد المساعد ، وهو يكرر في أصغره تلك العبارة الأخيرة ..

لو أنه ما زال على قيد الحياة !

وعلى الرغم منه ، أضاف عقله عبارة أخرى ، وذهنه يحمل صورة (أدهم) ..

ولو أنه ظل على قيد الحياة !

وفي كل الأحوال ، وإيّا كانت العبارة الصحيحة بينهما ، لم يكن لديه جواب مؤكد على كليهما ..

أي جواب ..

على الإطلاق ..

« هل تدركون ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟! »

هتف وزير الدفاع الأمريكى بالتساؤل ، فى عصبية شديدة ، وهو يلوح بذراعيه ، داخل المقر السرى للإدارة ، فعضت مستشارة الأمن القومى شفيتها ، وهى تقول فى مرارة ساخطة :

- بالتأكيد .

نقل الرئيس الأمريكى بصره بينهما فى توتر ، قبل أن يهتف فى حدة :

- هل يمكن لأحدكم أن يشرح لى ، ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجاب مدير مخابراته ، قائلاً :

- يعنى ببساطة أن الزعيمة الغامضة قد كشفت موقعنا هذا ، أو موقع مستر (X) ، وأنها استغلت الاتصال بيننا ، لتحديد الموقع الذى تجهله .

امتقع وجه الرئيس ، وهو يقول بصوت مرتجف :

- مستحيل ! المفترض أن هذا المقر سرى تمامًا .. إنه ضمن خطة استمرار الحكومة ، التى لا يعرفها سوى ...

قائمه مدير المخابرات ، دون أن يبالي بالقواعد الدبلوماسية أو البروتوكولية ، فى تلك اللحظة :

- لو أن نديها هذا العدد من العيون والآذان ، فى صفوف قيادتنا العليا ، كما يقول مستر (X) - فلن يصعب عليها الحصول على خطة استمرار الحكومة .

امتقع وجه الرئيس أكثر ، وهو يهتف مرتاعاً :

- حقاً ؟!

عضت مستشارة الأمن القومى شفيتها مرة أخرى ، وهى تقول :

- لا يمكننا أن نستبعد هذا بإسادة الرئيس ، فلقد تم تغيير خطة استمرار الحكومة ، بعد سقوط ذلك الجاسوس (روبرت هانسن) ؛ لأنه كان قد أبلغ المخابرات الروسية بالفعل ، بالخطة السابقة (*) .

بدا وكأن الرئيس قد انكمش فى مقعده الكبير ، ووزير الدفاع يقول فى عصبية شديدة :

- هذا يعنى أن مقرنا السرى لم يعد آمناً .

(*) حقيقة .

أجابه مدير المخابرات في سرعة :

- لا يمكنك الجزم بعد .

هتف وزير الدفاع في حدة :

- بعدما حدث أمامك .

رفع مدير المخابرات سببته أمام وجهه ، وهو يقول في حزم :

- ما رأيانه يعني أنه كانت هناك محاولة لتعقب الاتصال الخاص ، بيلنا وبين مستر (X) ، وهذا قد يعني أن موقعا معروف منذ البداية ، وأن المحاولة كانت لتعقب اتصال مستر (X) وتحديد موقعه ، أو قد يعني العكس تماما .

قالت مستشارة الأمن القومي ، في حزم غاضب :

- في مثل هذه الظروف ، يكفى الشك وحده ، لمغادرة هذا المكان فوراً ، إلى مكان آخر .

عقد مدير المخابرات كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

- أو ربما يكفى للعودة إلى البيت الأبيض .

صاح به الرئيس مستكراً :

- ماذا تقول يا مدير المخابرات ؟! هل تقترح أن نضع

أنفسنا في بؤرة الخطر مرة أخرى ؟!

هزّ مدير المخابرات رأسه نفياً ، وقال :

- بل أقترح أن نتوقف عن التعامل بكل التوتر والعصبية ، والبدا في اتخاذ منهج جديد للتعامل مع الموقف .. منهج أكثر عقلانية ومنطقية .

وانعقد حاجباه في شدة ، مع استطادته الصرامة :

- وأكثر هدوءاً .

احتقن وجه مستشارة الأمن القومي ، وهي تقول في غضب :

- هل تظن نفسك ...

قاطعتها الرئيس ، وهو يسأل مدير المخابرات في توتر :

- هل تقترح شيئاً بعينه ؟!

أجابه مدير المخابرات بنفس الصرامة :

- بالتأكيد .

ثم بدأ يتحرك في المكان ، متابعاً في حزم :

- لو راجعتم أسلوب تلك الأقوى ، في التعامل معنا ، منذ اللحظة الأولى ، لأثركم أنها تسعى لإزهاقنا ، وتحطيم أعصابنا ،

وتشتيت قلوبنا، بضربك سريعة متلاحقة، لا تمنحنا الفرصة
لالتقاط الأنفاس، ولقد اتسقتا نحن خلفها دون أن ندري،
ورحنا نتحرك بعصبية وعنف، وقد أغضبنا ذلك الشعور،
بأننا أمام خصم مجهول، لا يمكننا السيطرة عليه.

قالت مستشارة الأمن القومي في غضب:

- هذا أمر طبيعي .. إننا قادة (أمريكا)، زعيمة العالم
التجديد، و ...

قاطعها في الحزم:

- هذا بالضبط ما ينبغي أن نحموه من أذهابنا.

انتفض جسدها في عنف، وهي تهتف مستكررة:

- ماذا نقول؟!

أجاب في سرعة وحزم:

- أقول إن شعورنا بالزعامة، وبأننا حتماً أقوى من خصمنا،
هو الذى يستفز مشاعرنا، وينفضنا إلى ارتكاب الأخطاء
والحماقات، واحدة بعد الأخرى .. لا بد إذن أن نبدأ فى
التعامل معها بأسلوب جديد .. أسلوب يقر بأننا لا نقتل عدا
قوة وبراعة.

قال وزير الدفاع فى سخط واضح:

- ولكنها مجرد ..

قاطعها مدير المخابرات فى سرعة:

- التقليل من شأنها يسىء إلينا، وأكثر مما يسىء إليها
ياسيادة الوزير، فحسابات المكسب والخسارة، تؤكد أنها
الفائزة، حتى هذه الجولة، ومن العار: كل العار، أن
يهزمك شخص قليل الشأن، عندما تعتبر نفسك أكبر قوة
ضاربة، فى القرن الجديد.

غمغم الرئيس، فى اهتمام وانتباه:

- هذا صحيح.

تراجع وزير الدفاع، معقود الحاجبين، ومطت مستشارة
الأمن القومي شفتيها، دون أن تتبسم ببنت شفة، فتابع
مدير المخابرات، قائلًا:

- سنبدأ المرحلة الجديدة على نحو مختلف إذن .. سنتعامل
مع تلك الزعيمة المجهولة، كما كنا نتعامل مع السوفيت، فى
الماضى .. سنعتبرها قوة عظمى مساوية لنا، ولنضع خططنا
من هذا المنطلق.

قالت مستشارة الأمن القومي ، في امتعاض واضح :

- قوة عظمى ؟!

قال مدير المخابرات في صرامة :

- نعم .. قوة عظمى .. قوة قادرة على هزيمتنا ، لو لم نتخذ القرار الصحيح ، في الوقت الصحيح .

هزت مستشارة الأمن القومي رأسها ، معلنة رفضها لما تسمعه ، وأطلق وزير الدفاع زفرة طويلة ملتهبة ، في حين تساعل الرئيس في اهتمام :

- وما الذي تقترحه بالضبط ، في هذه المرحلة الجديدة ؟!

صمت مدير المخابرات بضع لحظات ، وهو يدير عينيه في وجوههم ، قبل أن يشد قلنته ، ويجيب في حزم صارم شديد :

- أن تطيع أوامرها .

اتسعت عينا الرئيس الأمريكي عن آخرهما ، وتراجع في مقعده بحركة حادة كالمصعوق ، ومال وزير الدفاع برأسه نحو مدير المخابرات ، محتفًا فيه بذهول مستنكر ، في حين قالت مستشارة الأمن القومي في بطء :

- كنت أعلم هذا .

ثم انفجرت فجأة ، مكررة بثورة هائلة :

- كنت أعلم هذا .

ولوحّت بسبابتها في وجه مدير المخابرات ، صارخة :

- أنت تعمل لحسابها .

انقض جسد مدير المخابرات بملتهى العنف ، وهو يهتف مستنكرًا :

- أما ماذا ؟!

ثم احتقن وجهه بشدة ، وهو يجذب مسنسه من عنقه في غضب ، مستطردًا في شدة قاسية :

- الجواب الوحيد ، الذي يمكن أن أمنحه لاثباتك هذا ، هو رصاصة في رأسك .

صرخت فيه :

- أطلقها على رأسك أنت أيها الخائن

قبل أن تتم عبارتها ، تطلعت في المكن فجأة ضحكة عبثة ، شامتة ، ساخرة ، بصوت يعرفونه جميعًا .

صوت جعلهم يلتفتون معًا ، في ذهول مذعور ، إلى شدثة

التلفاز الكبير ، فى المقر المسمى ، والتي أضيت وحدها ،
وظهرت عليها صورة الزعيمة الغامضة ، وهى تنفذ دخان
سيجارتها الحمراء الطويلة ، وتقول فى سخرية ظفيرة مستفزة :

- من الممتع لى أن أراها تتصارعون على هذا النحو ..
أراهن أن شبكات التليفزيون الأمريكية مستعدة لدفع ملايين
الدولارات ، ليهت مشهد كهذا .

نظفتها ، وعادت تطلق ضحكة عابثة مسخرة طويلة ،
تجمعت لها الدماء فى العروق ، وارتجفت معها القلوب ..

كل القلوب ..

عندما أغلقت لزعيمة القفوضة ذلك العمر من الطرفين ،
كانت تتوقع ، نظراً لمعرفتها الجيدة لطبيعة (أدهم) ، أنه
سيتحرك على الفور ، بمنتهى القوة والنشاط ، ودون أن يضيع
ثانية واحدة ، بحثاً عن وسيلة للخروج ، من زنزانته الجديدة
هذه ..

لذا ، فقد أدهشها بحق ، أن ارتسمت على شفتيه ابتسامة
هادئة مسخرة ، وهو يقول :

- فليكن يا زعيمة الحمقى .

ثم أمسك جيداً تلك المنفع الآلى ، الذى انتزعه من أحد
رجالها ، وألصق ظهره بجدار العمر المعدنى ، لينزلق فى
بطء وهذوء ، جالساً على أرضيته ، دون أن يضيف حرفاً
واحداً ..

وبخيرة حقيقية ، تراجعت الزعيمة فى مقعدها الوثير ،
وتطلعت إلى شاشة الرصدة ، وهى تنفذ دخان سيجارتها ، متمتعة :

- ترى فيما تفكر بالضبط يا (أدهم) !

كانت ترغب بالفعل ، فى قراءة ما يدور فى عقله ، حتى
لقد تمنعت لو أنهم قد اخترعوا بالفعل ما يمكنها من هذا ،
وخاصة عندما أسبل جفنيه ، واسترخى تماماً فى مجلسه ،
كما لو أنه قد راح فى نوم عميق هادئ ..

ولبقة كعلة ، ظلت تنطع إليه ، دون أن توحى لية حركة
من حركته ، أو سكة من سكته ، أن خلية واحدة فى جسده
تموج بالنشاط ، قبل أن تقول فى توتر :

- من حسن حظك أننى غير متفرغة لك الآن يا (أدهم) ..
هيا .. ابق فى محبسك المنيع هذا ، حتى أنهى هذه الجولة
الجديدة ، وأتفرغ لك .

قالتها ، ثم استدارت إلى شاشة اتصالات خاصة مؤقتة ، ورسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة عابثة ، وهي تنصت في اهتمام إلى ما ينفخها من أحاديث ، عبر أحد لقمار الاتصالات الصناعية ، التي سيطرت عليها بالفعل ، دون أن تفصح عن هذا ..

وعندما بلغ الحديث الحد الذي تريده ، ضغطت زرّاً أمنياً ، ثم عكست جلستها على مقعدها في شيء من التعالي ، ونفثت دخان سيجارتها الطويلة الحمراء ، وهي تطلق ضحكة عابثة طويلة ، في نفس اللحظة التي بدأ فيها الاتصال الخاص ، بينها وبين مقر قيادة الإدارة الأمريكية السري ..

وفي نفس اللحظة ، التي بدأت فيها اتصالاتها ، كان ذهن (أدم) يعمل بسرعة خرافية ، وتركيز مذهل ، لدراسة موقفه الدقيق ، والبحث عن مخرج ما ..

مخرج من زفزانة شديدة الأحكام ، إلى حد لا يتصور معه أحد وجود ثغرة واحدة فيها ، تسمح بالقرار ..

على أي نحو كان ..

ولكنه ما زال شديد الاعتناء بالنظرية الأساسية ، في عالم الأمن ..

لا يوجد جهاز أمني واحد ، خال من الثغرات ..

هذا لأن واضح النظام الأمني هو بشر ..

مجرد بشر ..

والبشر أبداً لا يكتملون ..

الكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده ..

وهو يؤمن به (عز وجل) ، كما لا يؤمن بأي شيء آخر في الوجود ..

ويؤمن بقاعدته الأولى ، التي لا تقبل الجدل ..

من يتق الله ، يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ..

إيمانه مع خبرته الواسعة ، سيرشده حتماً إلى مخرج ما إذن ..

إلى ثغرة ما ، في مكان ما ..

ثغرة لم تنتبه إليها تلك الزعيمة ..

أو حتى كل طاقم أمنها ..

نقد أعطت لكل شيء عدته ، واستخدمت أنق وأحدث نظم
الأمن الإلكتروني ، من شاشات رصد ، ونظم اتصالات ،
ومجسات حيوية بعيدة المدى ، وذلك السوار الأمنى
الإلكترونى ، و ...

توقفت تفكيره بقية ، عند هذه النقطة ، وتفجرت الكلمات
الأخيرة فى ذهنه بقوة أكبر ..

السوار الإلكتروني الأمنى ..

الصدمة الكهربائية الفائقة ..

نظم الأمن ..

والمراقبة ..

والاتصالات ..

وعلى الرغم من أنه لم ينهض من مكانه ، فقد فتح عينيه
المثاقبتين ، بمنتهى البطء والهدوء ، وأدارهما فى العمرق
دقة ، وخطته الجديدة تتكون ..

وتتكون ..

وتتكون ..

« كيف عرفت موقعنا السرى ؟ »

ألغى الرئيس الأمريكى السؤال ، فى عصبية شديدة ،
وهو يتأمل على مقعده ، فى تلك اللحظة ، فقدفعت مستشارة
الأمن القومى السمرعاء ، تقول فى حدة :

.. أنت تعرفينه منذ البداية .. ليس كذلك !!

أطلقت الزعيمة ضحكة عابثة أخرى ، قبل أن تقول فى
صرامة مباحة ، وقد انعقد حاجباها على نحو مخيف :

.. معرفة أمكن توليكم ، ليست بالصعوبة التى تتصورونها ،
على الرغم من كل إجراءات الأمن المعقدة ، وخطورة
القوة التى تجرى فى عروقكم مجرى الدم .

قالت مستشارة الأمن القومى فى غضب :

.. خطورة القوة لدينا لها ما يبررها ، أما أنت ..

قالت لها الزعيمة فى برود ، وهى تواصل لغث دخان
سيجارتها الطويلة :

.. (خالد بن على) .

قحبت الكلمات فى خلق مستشارة الأمن القومى ، وقسعت
عينها فى ارتياح شديد ، وتراجعت بحركة حادة كالمصوفة ،
فالتسعت ابتسامتها الزعيمة الساخرة ، وهى تواصل :

- كان شاباً عربياً وسيماً وقوياً بالفعل ، وأشباه بالفارس ،
في زمن خلا من الفرسان ، وكل امرأة يمكن أن تقع في
غرامه ، من النظرة الأولى .

وصممت لحظة ، قبل أن تضيف في شماعة :

- تماماً مثلما حدث معك .

استدارت العيون كلها إلى مستشارة الأمن القومي ، التي
بدت منكشمة في مكاتها ، كفأر سقط في مصيدة مهلكة ، في
حين واصلت الزعيمة ، بنفس السخرية الشامتة :

- ولكنه لم يعتدل عصبيتك ، وتعالىك ، وكومة العُدد
النفسية ، التي تموج بها عروقك ، لذا فقد نبذك ، و ...

انتفض جسد مستشارة الأمن القومي ، وهي تصرخ فجأة :

- فليكن .. لقد أحببت شاباً عربياً مغروراً ، لم يقدر مواهبى
وعواطفى ، وكان من الطبيعي أن يلصق أحناء عن الآخر .. إنها
ليست سبة ، أو سبياً لنلقى إلى تجاوز قواعد الأمن هنا .

بدت الزعيمة هادئة أكثر مما ينبغي ، وهي تتفث دُخان
سيجارتها مرة أخرى ، وتلوح بيدها ، قائلة :

- بالتأكيد .. أنا أتفق معك تماماً يا عزيزتى .. إنها مجرد
قصة قتل عاطفية ، ربما تستغلها بعض وسائل الإعلام ؛
لتبرير عدد من التصالح الحوالية الطيفة ، التي قدمتها للرئيس
الأمريكي ، ولكن كل هذا سيظل مجرد تخمينات ، إلا إذا ..

اتقبه الكل في توتر واهتمام ، عندما نطقت كلماتها
الأخيرة ، إلا أنها توقفت بعدها ، لتلقى سيجارتها المنتهية
بعيداً ، ثم تشعل أخرى بقذاعتها المرصعة بالماس في بطاء ،
قبل أن تتابع بإتسامة مقبلة :

- إلا إذا عرفت وسئل الإعلام المزيد ، ووجلت لديها بعض
الوثائق ، التي تشير إلى الوسيلة ، التي حاولت بها الانتقام من
فارسك العربي ، ومن دولته ، وكل الدول العربية الأخرى ،
عن طريق التعاون ، مع المومس ..

بترت عبارتها مرة أخرى ، وأطلقت ضحكة عابثة طويلة ،
امتقع لها وجه مستشارة الأمن القومي بشدة وبدأ معها
الارتياح ، على وجهى الرئيس ووزير دفاعه ، في حين أدار
مدير المخابرات عينيه إلى المستشارة في دهشة مذعورة ،
لم تلبث أن انقلبت إلى غضب هادر ، في حين أطلقت
الزعيمة ضحكة عابثة طويلة معطوطة ، قبل أن تقول :

- ولكننى أعتقد أنه من غير اللائق ذكر هذا هنا .

ران على الحجرة السرية صمت رهيب ، دام لعدة ثوان ،
قبل أن يفهم الرئيس الأمريكى في خلوت :

أسرعت الزعيمة تقول بلهجة مستفزة :

- لا يوجد مستحيل بإسيادة الرئيس ، في الحب وفي الحرب ، وفي السياسة أيضاً ، فيحكي أنه ، في فترة ما من التاريخ الأمريكي ، كان هناك زميلاً دراسة ، ارتكبا معاً أخطاءً يلدى لها الجبين ، وعرف كل منهما سر الآخر ، ونقاط ضعفه ، ثم دارت دورة الزمن ، وأصبح أحدهما رئيس وزراء عدواني ، في حين صار الثاني رئيساً لأقوى دولة في العالم ، و ...

قلعياً لرئيس في سرعة ، وقد شحب وجهه على نحو مخيف :

- ماذا تريدان بالضبط أيتها الزعيمة !؟

ابتسمت في ظفر ، وفي ثقة من أطمأن إلى فرض سيطرته الثامة على الموقف ، وهي تجيب في ببطء :

- لقد أخبرتكم بالفعل ما أريده .

وقسا صوتها إلى حد مخيف ، مع إضافتها :

- مائة مليار دولار ، من ذهب (فورت نوكس) .

وبرقت عيناها ، وهي تكمل :

- خلال الثنتى عشرة ساعة فحسب .

هتف وزير الدفاع في ذعر :

- ماذا !؟ هذا مستحيل !

وشهقت مستشارة الأمن القومي في عصبية ، في حين قال مدير المخابرات ، وهو يبدل جهداً خارقاً ، ليبدو متماسكاً أمامها :

- أنت تطعين أن الوقت لن يكفينا لفعل هذا .

هزت كتفها على الشائشة ، قائلة في لامبالاة :

- يمكنكم إصدار أوامر إعداد الشحنة وتجهيزها الآن !

توفيراً للوقت .

قال الرئيس في حدة :

- حتى لو فعلنا هذا ..

قاطعه بمنتهى الصرامة والحزم :

- ستصلكم تعليمات الشحن ، وطريقة وموعد التسليم ،

خلال ثلاث دقائق فحسب ، عبر جهاز الفاكس الخاص ..

وصممت لحظة ، ثم أضافت في سخرية شرسة :

- والسرى للغاية !

تبادل جميعهم نظرة مفعمة بالتوتر والانفعال ، مع هذا التحذى الجديد السافر ، قبل أن تقول مستشارة الأمن القومي ، محاولة السيطرة على ذلك اللهب المستعر في أعماقها :

- تعلمين بالطبع أن ما قيمته مائة مليار دولار من الذهب ، يختلف تمام الاختلاف ، عما قيمته مائة مليار دولار من الماس ، فالأخير يمكن التقاء نقالوته ، وجمعه كله في حقيبة يد ، أما الأول ، فهو حمولة ضخمة ، وثقيلة للغاية .

أطلقت الزعيمة الغامضة ضحكة ، ساخرة عالية ، وقالت في تنذ وحش عجيب :

- أعظم هذا يا عزيزتى العائقة ، ولكن لدى أسلوبى الخاص فى التفكير ، وسأخبركم ما لدى ، ولكن فى ...

بثرت عبارتها بغثة ، على نحو أشار اقتباههم كثيراً ، وبخاصة مدير المخابرات ، الذى بدا شديد الاهتمام ، بما بدا وأنه يشتت تفكيرها فى وكرها ، مما جعلها تبعد عينها عن شاشة اتصالاتهم لحظة ، ثم تتطلع فى انتباه متوتر إلى نقطة أخرى ، قبل أن تعود إليهم ، وتقول فى سرعة ، محاولة رسم ابتسامة واثقة على شفتيها :

- فى اتصال آخر .

ومع آخر حروف كلمتها ، أنهت الاتصال الخاص ، وتركت أجهزة منع التعقب تعمل بأقصى طاقتها ، وهى تتابع بمنتهى الاهتمام شئنة الرصد ، التى تنقل إليها ما ينور دلخل العمر ، الذى عزلت (أدهم) فيه ..

ففى تلك اللحظة ، كان (أدهم) يقوم بعمل عجيب ..

عجيب بالفعل .

* * *



٧- رجل .. ورجال ..

« مازال الأمر يدهشني بحق باسيادة المدير ! »

نطق المساعد الأول ، لمدير المعارف العامة المصرية العجزة ، في حيرة حقيقية ، وهو يطالع تقريراً ، ورد من الولايات المتحدة الأمريكية ، منذ دقائق قليلة ، فرغ المدير عينيه إليه ، يسأله في هدوء :

« ولماذا يدهشك ؟ »

قال المساعد في اهتمام :

« الفريق الاحتياطي ، الذي أرسلناه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، معروف للأمريكيين تماماً ، وعلى الرغم من هذا ، ومن التعقيدات الشديدة ، في نظم منح تأشيرات الدخول ، في كل السفارات الأمريكية عبر العالم ، فقد أمكنهم السفر إلى هناك ، وتجاوز تعقيدات جهاز الأمن الداخلي (١) ، في سهولة غير متوقعة ! »

(*) جهاز الأمن الداخلي : هو جهاز أمني خاص ، نشأ بقانون عاجل ، مع بدايات القرنين ، وعقب ضربة العادي عشر من سبتمبر ، لتفكيك حرية أو شخص ، داخل حدود الولايات المتحدة الأمريكية ، أو أي شخص يرغب في زيارتها ، تحت أية مسميات ، ويعتبر أفراد جهاز الأمن الداخلي فوق كل قانون .

ابتسم المدير ، قتلاً :

« المفترض ألا يدهشك هذا يا رجل .. لقد أرسلنا الفريق الاحتياطي ، تحت رعايتنا الخاصة . »

تسأل المساعد ، وقد تضاعفت حيرته :

« ولكن كيف ؟ »

التقط المدير نفماً عميقاً ، وهو يجيب :

« الكل سافروا بجوازات سفر دبلوماسية ، تتبع رئاسة الجمهورية مباشرة ، ويتصريح من وزارتي الداخلية ، في (مصر) و (أمريكا) ، بحجة أنهم في مهمة خاصة عاجلة . »

تسأل المساعد :

« ولماذا عن هوياتهم المعروفة للأمريكيين ؟! ألن يصبح الأمر أكثر تعقيداً ، عندما يحصلون على بصماتهم ، عند دخول الولايات المتحدة الأمريكية ، وفقاً للإجراءات المتبعة حالياً ، ويعلمون أنهم رجال مخابرات ، مع ما يحملونه من تصاريح رسمية ودبلوماسية ؟! »

بدت ابتسامة المدير غامضة ، على الرغم من هدونها ، وهو يجيب :

« فحس البصمات لن يسفر عن شيء . »

هتف المساعد بكل الدهشة :

- ولكن .

قأطعه المدير فى حزم :

- نحن أيضًا لنا عيوتنا وآذاننا .

هتف المساعد :

- فى قلب الولايات المتحدة الأمريكية نفسها !!

أجابه المدير ، فى حزم أكثر :

- فى كل مكان فى العالم .

ثم اعتدل على مكتبه ، وقال ، محاولة تغيير دفة الحديث :

- قل لى : هل تم تحليل المعلومات الأخيرة ، التى أبلغنا بها الأمريكيون ؟!

أجابه المساعد فى سرعة :

- الخبراء يعملون على تحليلها الآن ، بإسيادة المدير .

ثم هز رأسه ، مستطردًا :

- الواقع يأسئدى أن الأمريكيين لم يتعاونوا معنا يومًا ، بمثل ما يفعلونه الآن .

ابتسم المدير ، قائلًا :

- هذا لأن التعاون المعلوماتى معنا ، يفيد موقعهم الأمنى هذه المرة ، ويحقق مصالحهم المباشرة .

تردد المساعد لحظة ، قبل أن يقول :

- ربما لهذا سمحوا لفريقنا الاحتياطى بالدخول .

قال المدير فى صرامة :

- فريقنا وصل إليهم ، دون أن يدركوا هذا .

تسأل المساعد فى اهتمام :

- ولكن لما كنا نفكر إلى الكثير من المعلومات ، عن تلك الزعيمة الغامضة ، أو حتى عن الموقع الحقيقى لسيادة العيد (أدهم) ، فما الذى يمكن أن يفعله فريقنا الاحتياطى هناك ؟!

أجابه المدير فى سرعة :

- سيكونون على أتم الاستعداد للتحرك فورًا ، وتنفيذ الخطبة (ب) .

تسأل المساعد فى لهفة :

- متى ؟!

بدا المدير شديد الصرامة والحزم ، وهو يجيب :

- عندما تحين اللحظة المناسبة .

وفي مثل تلك الظروف ، بدت عبارته غامضة بحق ..
للغاية ..

لم يتوقف جسد مستشارة الأمن القومى الأمريكية عن الارتجاف لحظة واحدة ، من فرط التوتر والانفعال ، طوال طريق العودة ، من المقر السرى ، إلى مكتب الرئيس الأمريكى ، لدخل البيت الأبيض ، ولم يكد يستقر بها المقام هناك ، حتى قالت بمعنى الحدة والعصبية :

- تلك الحقيرة تفرض سيطرتها علينا تماما .

قال الرئيس فى توتر :

- مدير المخابرات كان على حق .. ينبغي أن نركز جهوننا كلها فى البداية ، على كشف الثغرات فى نظامنا الأمنى ، ونقاط تسريب المعلومات لدينا ، حتى نمنعها من معرفة كل ما ننوئ فعله .

جعلتها عبارته تنتفخ حولها فى عصبية ، قبل أن تتعامل فى حدة :

- هل تم تأمين مكتبك هذه المرة ؟

أوما برأسه إيجابيا ، وقال :

- مدير المخابرات تولى الأمر بنفسه هذه المرة ، وبوساطة فريق من أقرب رجاله .

مطنت شفتيها ، مضغمة فى وقت :

- أتعلم أن يفتح هذا .

أطلق زفرة ملتبهة ، جعلت كل توتراته والفعالاته ، قبل أن يقول :

- تلك المرأة خطيرة للغاية .. إنها تعرف أموراً ، لم أتصور أن يعرفها أحد .

اتعقد حاجبا المستشارة ، بكل توتر الدنيا ، فتابع فى صرامة ، لم تدخل من العصبية :

- وهذا يطبق على كلينا .

ازداد اتعقاد حاجبيها ، وهى تدور فى المكان ، فى اتفعل شديد ، قبل أن تقول :

- من حسن حظنا أننا وحدنا الآن ، بعد أن ذهب وزير

الدفاع : لإعداد شحنة ذهب (فورت توكمن) ، وعاد مدير
المخبرات إلى مقر قيافته في (الجلبي) : لمراجعة كل المعلومات
الأخيرة وتحليلها ، وهذا يمنحنا الفرصة للمصارحة كاملة .

غغم الرئيس ، في صوت أقرب إلى الزمجرة :

- لا ضرورة لهذا .

قالت في عصبية :

- لقد سمعت ما قالته تلك الحقيبة .

كرّر في صرامة :

- قلت : لا ضرورة لهذا .

واصلت في إصرار عصبى ، وكأنها لم تسمعه :

- لقد أشارت إلى تعاوني السابق ، مع جهاز الموسم...

قاطعتها في حدة هذه المرأة :

- أنا أعرف هذا .

التفت جسدها في عنف ، وهي تهتف :

- تعرفه !!

مال إلى الأمام ، مضيقاً بكل الصرامة :

- ومنذ اللحظة الأولى .

كررت عبارته ، وجسدها ينتفض في عنف أكثر :

- منذ اللحظة الأولى !!

ترجع الرئيس ، وهو يقول في حزم ، لم يخل من
الانفعال :

- لماذا تصوّرت أنني قد اخترت بالتحديد ، لمنصب مستشارة
الأمن القومي !!

اتسعت عيناها ، وهي تحدق فيه ، فتابع في الفعل أكثر :

- لقد كانت نصيحة الأصدقاء هناك .

رددت ، في لهجة أقرب إلى الذعر :

- هناك !!

عاد يعيل تحوها ، ويقول بلهجة بلغت ذروة الانفعال :

- في تل أبيب

قاطعتها في حدة :

- كلتي .

ثم التفتت نفساً عيقاً ، في محاولة للسيطرة على انفعالها الجارف ، واضطرابها الشديد ، قبل أن تضيف بصوت مرتجف مختلق :

- لقد فهمت .

وصممت بضع لحظات ، ثم قالت في حدة :

- المشكلة أن تلك الحقيبة تعلم هذا ، وأنا واثقة من أنها تملك من الوثائق ، ما يكفي لنفضح أمرنا ، وتدمير مستقبلنا تماماً ، ونستأذي ما الذي يمكن أن نفعله .

أجابها الرئيس في سرعة وحزم :

- إن ننفذ كل ما تطلبه منا .

استدارت إليه ، صالحة في استنكار :

- ماذا ؟!

تراجع في مقعده ، وقال في حزم :

- أيهما تختارين ، في موقف كهذا ، (أمريكا) أم

وبئر عبارته ، ليميل نحوها مرة أخرى ، مضيقاً في صرامة :

- أم نحن ؟!

احتقن وجهها بشدة ، والتفتت نفساً عيقاً ، في عصبية شديدة ، قبل أن تجلس على أول مقعد صافئها ، قائلة في حدة :

- ولكن كيف سنسلمها حمولة من الذهب ، تساوي مائة مليار دولار .

زفر في توتر ، محاولاً إفراغ انفعاله ، وتراجع في مقعده ثانية ، وهو يلوح بيده ، قائلًا :

- هي ستخبرنا .

ولم تلعب مستشارة الأمن القومي بهنت شلة ..

لقد كان هذا هو القول الفاصل ..

والأخير ..

على شتلة الرصد التي تنقل كل ما يدور في ذلك العمر ، الذي سجت فيه قرعيمة (أدهم) ، بدأ هذا الأخير ، وهو يتترع إحدى كاميرات المراقبة في عنف ، ويجذب طرفي السلك ، الذي تخلف عن اقتراعها ، ثم يوصلهما بتلك السوار الأمنى الإلكتروني ، الذي يحيط بمعصمه ، فقالت القرعيمة في توتر ، لم تستطع إخافته بغلاف من البرودة الظاهرية كعادتها :

- إنك تتجاوز حدودك هذه المرة يا (أدهم) .

هز كنفه ، وهو يواصل عمله ، قتلاً في سخرية :

- هذا يتوقف على من يضع الحدود ، يا زعيمة الحمقى .

قالت ، وهي تلفت دخان سيجارتها في قوة :

- إنك تستند صبري ، الذي منحك منه الكثير ، ولا تتوقع

أنني سامحك المزيد هذه المرة .

قال بنفس السخرية :

- ما توقعه ، بعد دراسة كل ما حدث ، هو أنك لا ترغبين في

قتلى أيتها المتخلفة ، بل في هزيمتي .. أو أنك تخيرينني

لأصبح شاهداً على لحظة التصارك ، قبل التفك بي .

أنتقها أن أدرك هدفها ، ولكنها قالت في صرامة :

- توقعاتك لن تكون يوماً صائبة ، يا رجل المخابرات

العصرى .

قال في سخرية :

- ربما ، ولكنني أراهن بحياتي عليها هذه المرة .

ترجعت في مقعدها ، ونفثت دخان سيجارتها في عصبية ،

في محاولة لإفراغ كل انفعالاتها ، وهي تقول :

- أستطيع بضغطة زر واحدة ، إطلاق جيش من رجالى

المحترفين نحوك ، من الجانبين .

قال في سخرية متحمدة :

- هذا ما ستفعلينه حتماً ؛ لقد فحصت الجدران ، ولم أجد

بها منافذ لإطلاق الغاز المسموم في العمر ، كما أن سورك

الإلكترونى قد فقد فاعليته ، بعد العازل المطاطى ، الذى

وضعت بين معصمى وبينه ، وأوغادك الثلاثة هنا ما زالوا

فائدى الوعى ، كما لو أنهم غير مؤهلين لتلقى لكمات قوية

كهذه .

اتعقد حاجباها في غضب ، وهي تقول :

- فليكن يا (أدهم) .. أنت أردت هذا ، ولقد

قبل أن تتم عبارتها ، دفع هو سبابته ، بين معصمه وتلك

القطع المطاطية ، التى تعزله من السوار الإلكترونى ، ثم

جذب السوار بقوة محدودة ، وكأما يحاول انتزاعه يرفق ..

ومرر فعل لمحاولة انتزاع محدودة ، أطلق السوار شحنته

الكهربية القوية ، التى عزلتها القطع المطاطية عن جسد

(أدهم) ، فانتطلقت عبر طرفى السلك ، المتخلف عن كاميرا

المراقبة ، التى انتزعها (أدهم) ..

انطلقت لتغمر شبكة المراقبة الأمنية كلها ..

ودوت في حجرة الزعيمة فرقة مكتومة ، مع ذلك الجهد الكهربى العنيف ، الذى لم تحتمله أسلاك ووصلات شبكة المراقبة ، فأحترقت كلها دفعة واحدة ..

وانطلقت كل الشاشات ، فى حجرة الزعيمة ، فأعدلت هذه الأخيرة فى غضب ، وهى تهتف ساخطة :

- كان ينبغي أن أتوقع هذا .

ثم جذبت من حزامها جهاز اتصال لاسلكى محدود ، وختفت عبره فى صرامة شديدة : ثم يعدها رجالها قط :

- استنفار عام .. انطلقوا إلى الممر (م-٧) .. طوارئ قصوى .. المصرى يسيطر على الموقف هناك .. فقدنا السيطرة البصرية والسمعية أيضا .. استخدموا جهاز الاتصال المحدود فقط ، وبالرموز الكودية المتفق عليها .. إنه يملك أجهزة معالشة الآن ، لذا سيتم تغيير موجة الاتصال ، إلى موجة الطوارئ (ب) ..

والتقطت نفساً صغيلاً ، قبل أن تضيف ، فى صرامة أكثر :

- أريد استعداد السيطرة الكاملة على الموقف ، مهما كان الثمن .. هل تفهمون ؟! مهما كان الثمن .

وتوقفت لحظة ، لتعيد دراسة الموقف كله فى رأسها ، قبل أن تستعيد كل صرامتها وحزمها ، متابعة :

- وأريده حياً .

أنهت الاتصال ، بعد أمرها الأخير ، وعادت تدير عينها فى شاشات الرصد ، التى توقفت تماماً عن العمل ، لتقول فى غضب :

- يبدو أنك ستضطرنى لتغيير القواعد يا (أدهم) .

وغيرت موجة الاتصال ، فى جهازها الخاص ، قبل أن تضغط زرّه ، قاتلة فى صرامة :

- مامدى الخسائر يا قسم الاتصالات ؟!

أتاها صوت مسئول قسم الاتصالات ، وهو يجيب فى توتر :

- لقد احترقت الشبكة كلها يا سيديتى .. لم تكن معدة لاستقبال هذا الجهد الكهربى الشديد .. لم لتوقع حدوث هذا أبداً ، ولو توقعناه لكنا قد

قاطعته فى صرامة :

- وكم يستغرق إصلاح هذا .

صعدت المسنول بضع لحظات ، وكأنه يدرس الموقف ،
قبل أن يجيب بنفس التوتر الشديد :

- الرجال يمنهم إصلاحه ، خلال ساعة واحدة أيتها
الزعيمة ، وهم يقترحون مد شبكة إضافية احتياطية ، تعمل
فور التهيأ الشبكة الأولى ، التي سيتم تزويدها هذه المرة
بمقوم تيار منتظم ، و

قاطعته في غضب :

- كان ينبغي أن تفعلوا كل هذا منذ البداية .. إننا لن
نصنع كل هذا ، ثم نترك ثغرة سخيفة تافهة كهذه ..

غمغم الرجل ، في اضطراب شديد :

- سيدتى .. إننا لم ...

قاطعته في وحشية هذه المرة :

- ابدعوا عملية الإصلاح فوراً .. أريد استعادة السيطرة
الكاملة ، خلال ساعة واحدة على الأكثر ، وإلا فستعير
رعوس العديدين منكم .

وأتهت الاتصال بحركة حادة ، وهي تضيق في شراسة :

- إننى أدفع بسخاء فلماذا أحصل على الأغبياء دوماً ..

كانت تعلم أنها غير صادقة على الإطلاق في عبارتها ،
وأنها تستعين دوماً بأفضل الخبراء ، وأكثر العقول العلمية
عبقرية ، وتذكر جيداً أن أمثال هؤلاء لا ينشغلون قط
بالأمن وإجراءاته ؛ إلا إن الغضب المستعر في أعناقها كان
يفوق سلامة منطقها في تلك اللحظات ، وهي تتابع في
ثورة :

- مازلت أرغب في أن يشهد (أدهم صبرى) لحظة انتصارى
العظمى ، وسيطرتى التامة على العالم كله ، وتكفه يصير
على تثبيث النبأى ، وإلهاب أعصابى ، ودفعى إلى معارك
جانبية ، لا وقت لها الآن :

زفرت في توتر لا محدود ، وألقت الجزء الضئيل ،
المتبقى من سيجارتها عبر الحجرة ، بكل ما تملك من قوة ،
وكلما تلقى معه كل توتراتها العنيفة ، وتراجعت في
مقعدها ، وأغلقت عينها في قوة ، وهي تقول لنفسها :

- لا .. لا تفقدى السيطرة على أعصابك الآن .. هذا
ما يريدونه ، وما يملونه بالضبط .. لذا ينبغي أن تملسك ..
وأن أظل هادئة .. قوية .. متمسكة .. ربما يسبب (أدهم)
بعض المتاعب الآن ، ولكن هذا لن يستمر طويلاً .. رجائى
سيهاجونه من جانبى العمر ، بمنتهى القوة والعنف ، وبأعداد

لا قبل له بها .. سيحدد عددًا كبيرًا منهم حتمًا ، بالمعذات الآلية التي استولى عليها ، ممن أفقدهم وعيهم هناك ، ولكن القاعدة ستظل صحيحة .. الكثرة تهزم الشجاعة دومًا .. وهذا يعنى أنهم سيهزمونه فى النهاية ، وسيجبرونه على العودة إلى زنازنته الإلكترونية ، حيث سألقيه هناك طوال الوقت ، حتى أنتهى من مهمتى ..

التقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة لإكساع نفسها بما نطقته ، ثم لم تلبث أن تابعت :

- نعم .. سيهزمونه حتمًا فى النهاية .

مع آخر حروف كلماتها ، انبعث صوت أحد رجالها عبر جهاز الاتصال المحدود ، قائلاً :

- لقد اتخذنا مراكزنا أيتها الزعيمة ، ونستعد لتنفيذ الهجوم من الجانبين .

اعتذلت فى مقعدها ، قائلة فى صرامة :

- فليكن .

ثم ضغطت زر رفع حاجزى العمر ، مضيفة فى وحشية :

- هجوم .

وارتفع الحاجزان ، من جيبى العمر ، وقبل أن يكتمل ارتفاعهما ، انقض جنودها من الجانبين .. وبمنتهى العنف ..

وعبر جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود ، أنها صوت رجلها ، وهو يهتف فى عصبية :

- لقد حطم كل المصابيح أيتها الزعيمة .. العمر مظلم تمامًا ، ولا يمكننا إطلاق النار ، دون أن نصيب رفاقنا ، على الجانب الآخر .

استعت عيناها فى قوة ، وهتفت بمنتهى الحنى والغضب :

- أيها الله

ودون أن تكمل هتافها ، ماتت بسرعة ، تضغط زر إعادة إغلاق العمر فى الجانبين ، وهى تقول :

- استخدموا مصابيحكم .. إنه هناك .. بينكم .

كانت تستطيع تخيل ما حدث ، كما لو أنها كانت هناك ، من قرط معرفتها بطبيعة (أدهم) وأسلوبه ..

لقد أطلق العمر تملأ ، واستبدل ثيابه حتمًا ، مع ثوب أحد الجنين ، الذين فقدوا الوعي ، وسيمتزج حتمًا بجنودها ،

عندما يتحمسون العمر في الجقبين ، مستغلًا الظلمة ، التي تمنع الكل من إطلاق النار ..

ولكنها لن تسمح له بإكمال لعبته ..

لقد أغلقت العمر على الكل ، وسيستخدم جنودها مصابيحهم اليدوية ، لمعرفة كل من هناك ، وربما يشتبك هو معهم في سلسلة من المعارك العنيفة ، إلا أنهم سيكتشفون أمره في النهاية ..

وفي أسوأ الأحوال ، فالكل داخل العمر ..

داخل زنزانة كبيرة متسعة ، و

« إنه ليس هنا أيتها الزعيمة .. » ..

اتبعث صوت الرجل ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، فقالت في صرامة :-

- ماذا تعني بأنه ليس هناك ؟! استخدموا مصابيحكم ، وتكثروا ملاحه ، التي تحفظونها عن ظهر قلب ، وستكشفون أمره حتمًا .

لأنها صوت الرجل مرة أخرى ، وهو يقول :

- مصابيحننا قوية ، وكثيرة العدد ، ونعكسها على الجدران

المعدنية يضرب المكان تمامًا ، ونقد اصطفت الرجال وفقًا لتدريب الطوارئ الأخير ، وكلنا يرى بعضنا البعض ، وحتى اللقطة والزميلان ، اللذان فقدوا وعيهما من قبل ، نراهم في وضوح ، وتأكدنا من هوياتهم .. صدقيني أيتها الزعيمة .. إنه ليس هنا !

واتعقد حاجبا الزعيمة بمنتهى الشدة :

كيف لعبها (أدهم صبرى) هذه المرة ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

ولو أنه ليس داخل العمر ، فأين ذهب ، في ظل جهاز مراقبة ، فقد حاستي السمع والبصر ؟!

أين يمكن أن يكون ؟!

أين ؟!

ومع نقطة الموقف وخطورته ، لم تستطع أن تمنع موجة التوتر العنيف ، التي سرت في جسدها كله .. ولكنها أدركت أن ما تخلم به ، لم يعد ممكنًا ..

وأنه من المحتم أن يتم تغيير القواعد ، بالنسبة لـ (أدهم صبرى) بالتحديد !

لذا، قبل حزمها، ضغطت زر الاتصال الداخلي المحدود،
وهي تقول لرجلها في صرامة:

- سنعيد فتح الممر: على أن تنتشروا في القوامة كلها
فوراً.. أريد تمهيط كل شبر منها، بحثاً عن ذلك الخطب
المصري.. وفي هذه المرة، انسوا تماماً كل التعليمات
السابقة.

واعدلت في قوة، وصوتها يزداد حزمًا وصرامة، وهي
تضيف:

- في هذه المرة، أريد صريحاً.. وبأعنف وسيلة ممكنة..

نطقها وعيناها تتألقان بوحشية رهبة..

وحشية لم تشعر هي نفسها بها من قبل..

أيذا..

★ ★ ★



٨ - الشعب ..

انطلقت زفرة ملتهبة، حملت كل هموم الدنيا، من أصق
أعناق صدر مدير المخابرات الأمريكي، وهو يتحدث إلى
قرينه المصري، عبر جهاز اتصال ساخن مؤمن، قائلاً:

- الواقع أن تلك الغامضة تسيطر على الموقف تماماً،
وتسبقنا دوماً بخطوة، كما لو أنها تعرف مسبقاً، ليس
ما نفكر فيه الآن، وإنما ما ننوي أن نفعه في المستقبل أيضاً.

قل مدير المخابرات المصري في اهتمام:

- من الواضح أن لديها قاعدة معلومات رهبة.

زفر الأمريكي مرة أخرى، ولوح بكفه، قائلاً:

- هذا صحيح، ولكننا تجهل تماماً، من أين يمكنها الحصول
على قاعدة معلومات كهذه؟! إنها تحتاج إلى عقد كامل من
الزمن على الأقل، لبلوغ هذا الحد، من القوة والدقة!

صمت مدير المخابرات المصري بضع لحظات، ثم قل في حزم:

- من الروس.

سرت قشعريرة باردة، في جسد الأمريكي، وهو يسمع
الاسم، والذي اعتبره لسنوات طويلاً، مصدر شر وخطر،
واعدلت في مقعد بحركة حادة، هاتفاً:

- الروس!؟

أجابه مدير المخابرات المصري ، بنفس الحزم :

- نعم .. المتخصصون لدينا درسوا أمر قبض المعلومات ، الذي تتميز به تلك الزعيمة ، وتوصلوا إلى نتيجة منطقية للغاية ، فصرّح الجاسوسية ، بينكم وبين السوفيت ، والروس من بعدهم ، يعتمد إلى ما يقرب من نصف القرن ، ومن المؤكد أنهم عبر كل هذا العدد من السنين ، زرّعوا كما ضحكاً من الجواسيس في صفوفكم ، بعضهم انكشف أسره ، مع مرور الزمن ، والآخر ظل كامناً ، ناعماً ، حتى ترقى في عمله ، واحتل بعض المناصب الكبرى ، في الشركات والمصانع ، وحتى في أجهزة الأمن عندكم ، تساعدكم على هذا طبيعة مجتمعكم ، الذي يعتمد على توافد المهاجرين إليه ، من بقاع الأرض ، على عكس طبيعة المجتمع السوفيتي والروسي ، والذي لا يرحب في المعتاد بوجود المهاجرين والغرباء ، مما يجعل عمليات التجنيد هي الخيار الأول هناك ، وعمليات الزرع هي الأفضل عندكم^(١٠) .

(*) زرع العميل يعني من شخص من خارج مجتمع ما ، على هذا المجتمع ، بحيث يتوكل فيه ، ويبدد موارده في أرضه ، ويصبح مع الوقت أحد أفراد ، وهذا الأسلوب لا يتجح إلا في المجتمعات المفتوحة ، التي تستقبل المهاجرين طوال الوقت ، أما عملية تجنيد العميل ، فتعني اختيار شخص ما ، من المجتمع الآخر ، ودراسة شخصيته ، وتربيته ، ثم اغراؤه بوسيلة ما ، حتى يعمل لصالح جهة أجنبية ، على نحو سرّي تماماً .

غمغم الأمريكي في انفعال :

- هذا صحيح .

ثم عاد يتساءل في اهتمام :

- ولكن هذا يخص السوفيت ، أو الروس من بعدهم .

قال مدير المخابرات المصري :

- بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق ، لجأ بعض المسئولين السوفيت ، إلى بيع كل ما بقع تحت أيديهم للآخرين ، للحصول على ثروة سريعة ، تسمح لهم بالفرار إلى دول أخرى ، والعيش فيها بثراء معقول ، ولقد بلغ الفساد أيامها ذروته ، حتى إن بعض القادة العسكريين قاموا ببيع رءوس نووية لدول أخرى ، فما الذي يمنع انحراف بعض قادة المخابرات السابقين هناك ، والدفاعهم إلى بيع قاعدة المعلومات المخابراتية ، بكل ما تحويه من أسماء الجواسيس ، الذين يعملون في الغرب^(١١) .

تراجع الأمريكي ، هاتفاً :

- يا إلهي ! لو صح هذا ، ستكون كارثة .

قال مدير المخابرات المصري في رصانة حازمة :

- أليس كذلك بالفعل ؟؟

(*) حقيقة ..

مط الأمريكي شفتيه ، وهز رأسه في مرارة وأسى ، وهو يضمم في خفوت :

- أنت على حق .

ثم أطلق زهرة ملتهبة أخرى ، قبل أن يضيف :

- كان الأجدى أن نسعى نحن ؛ لامتلاك قاعدة المعلومات المخبرانية السوفيتية تلك .

صعدت مدير المخابرات المصرى بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- كنا نتصور أنكم قد فعلتم .

لوح الأمريكي بكفه ، كما لو أن قلبه يراه ، وهو يقول :

- ليتنا فعلنا .

ثم اعتدل ، يسأله في اهتمام ملهوف :

- ألم تحصلوا أنتم عليها ؟؟

صعدت مدير المخابرات المصرى لحظة ، ثم سأل في اهتمام :

- ألا ترغب في معرفة النتيجة ، التى توصّل إليها خبراءنا ،

بعد تحليل كل ما ورد إلينا من معلومات ؟؟

أدرك الأمريكي إنه يفر من إجابة سؤاله لسبب ما ، ولكن أحد مساعديه تلقى إلى مكتبه هذه اللحظة ، وتناوله مظروفاً مغلفاً ، فالتقطه منه في سريّة ، وأشار إليه بالانصراف ، وهو يفض المظروف ، سائلاً :

- وما الذى توصّلوا إليه ؟؟

التقط مدير المخابرات المصرية لنفسه عميقاً ، قبل أن يجيب :

- إن رجلنا ما زال حيّاً .

اتفقد حاجباً الأمريكى في شدة ، وهو يطالع التقرير ، الذى سلمه إياه مساعده منذ لحظة ، فى حين تابع مدير المخابرات المصرى فى حزم ، عبر الخط الساخن :

- وإته هناك .. فى وكر تلك الزعيمة الغامضة ..

ولم ينمى الأمريكى ببنت شفة ..

فهذا بالضبط ، كان محتوى التقرير ، الذى تسلّمه من الخبراء الأمريكين ، الذى يطالعه بنفسه ، فى تلك اللحظة .

ولقد خفق قلبه بعنف ، مع ذلك التوافق المذهل ..

بمئتهى العنف ..

فوجود رجل مثل (آدم صبرى) ، على مقربة من تلك الغمضة ، قد يكون الأمل فى الخلاص من تلك الأزمة الرهيبة ..

الأمل الأخير ..

فى ظل نظام مراقبة أصيب بالشلل التام ، حمل (أدهم) ذلك المدفع الآلى ، الذى حصل عليه من أحد جنود الزعيمة ، وهو يتحرك فى نشاط حارم ، عبر معرات الغواصة الخفية الرهينة .. كان يراجع ذاكرته جيداً ، ليقبض نفسه إلى تلك القاعدة الكبيرة ، التى تحوى أجهزة التحكم القوية والحديثة .. علقه وخبرته ليعماه بألقها أخطر مكان فى الغواصة كلها ..

أهم وأخطر مكان ..

على الإطلاق ..

لذا فقد عقد العزم على تدمير القاعدة كلها ..

بكل ما فيها ..

ومن فيها ..

فعلى الرغم من كراهيته الشديدة للقتل والتدمير ، كان يدرك جيداً أن تدمير تلك القاعدة ، أى كان الثمن ، قد يعنى إنقاذ الأرض كلها ، من سيطرة مجنونة وحشية ..

وكان مستعداً لدفع حياته كلها ، ثمناً لمنع تلك السيطرة ..

ودون أنسى ثرائد ..

ومع ثرائد لفكرة فى ذهنه ، دفع لمزيد من انغماسه فى عروقه ، وضاعف من سرعته ونشاطه ، وهو يعدو عبر الممرات ..

ويعدو ..

ويعدو ..

ولكن الزعيمة كانت قد توصلت بفكالتها المفرط ، إلى ما يسعى إليه ، وأغلقت كل الطرق أمامه ..

كل طريق ، يمكن أن يقود إلى قاعة التحكم والسيطرة الرئيسية ، أغلقه حاجز من الصلب ..

كل طريق بلا استثناء ..

وعلى الرغم من هذا ، لم ييأس (أدهم) ..

لم ييأس أبداً ..

لقد واصل البحث عن منفذ إلى المكان ..

واصل ..

وواصل ..

وواصل ..

ولكن تلك الزعيمة كانت قد أغلقت كل السبل بالفعل ..

صحيح أن خطته قد أسست شبكة المراقبة بأكملها ، وأنها تجهل تماماً موقعه بالتحديد ، إلا إنها كانت من الذكاء ، بحيث تحاصره فى مسارات محدودة فحسب ..

تماماً كفلران التجارب العلمية ..

وهو ييغض هذا الموقف تماماً ..

وإلى أقصى حد ..

توقّف في أحد الممرات ، وتلقّت حوله في اهتمام ،
وعقله يعمل ..

ويعمل ..

ويعمل ..

ثم كفزت إلى ذهنه فكرة بعيتها ..

السوار الأمني الإلكتروني ..

لقد استغل الصدمة الكهربائية الوقتية ، التي تنطلق منه ،
عند محاولة انتزاعه المحدودة ، لتدمير شبكة المراقبة كلها ،
ويمكنه أن يقوم بالإجراء نفسه ، لإحساد آليات تلك الحواجز
الفولائية ، ورفعها عن طريقه ؛ لبلوغ قاعة السيطرة الرئيسية ..

راجع ذهنه في سرعة ، كل معلومته عن النواير الكهربائية
والإلكترونية ، قبل أن يلتقي نقطة ما ، أعلى الحاجز الذي
أمامه ، ويلتصق بها الإطار الخارجي للسوار الأمني ، ثم
يدس سبابته ، بين معصمه وقطع المطاط ، التي تقيه أثره ،
ودفع السوار إلى أعلى ، و

ولم يحدث شيء !!

أي شيء !!

السوار الأمني الإلكتروني ظل سالكاً ، خاملاً ، كما لو أنه
قد فقد طاقته كلها ، في المحاولة السابقة ..

أو إنه يعمل فقط ، من خلال إشارات خارجية ، يتلقاها
من الشبكة الأمنية ، التي أنشأها هو منذ قليل ..

وهذا يضي أن السوار الإلكتروني لم يعد يعمل ..

على الإطلاق ..

وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يعيد دراسة الموقف كله ،
على ضوء المعلومات الأخيرة ، و

وفجأة ، بدأ الحاجز الفولائي يتحرك ..

بدأ يرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

وتوترت كل عضلة في جسده (أدهم) ، وهو يمسك
منفعه الآتي في قوة ، ويصويه نحو الحاجز ، و

وفجأة ، ارتفع الجزء المتبقي من الحاجز دفعة واحدة ، وبدأ
أمامه العمر الخالي ، يمتد نحو منحني بعيد ، على مسافة
ما يقرب من عشرين متراً منه ، قبل أن يسمع صوت اقترعومة ،
وهي تهتف عبر جهاز الاتصال المحدود ، لأحد رجالها :

- لابد أن يكون داخل ذلك العمر الآن .. كل الممرات
الأخرى مقلقة في وجهه .. حاولوا استعادة السيطرة التامة
على الموقف بأي ثمن .. هل تفهمون ؟! بأي ثمن ..

ومع آخر حروف هتافها ، ظهر الجنود ، عند ذلك
المنحنى البعيد ..

وقور رؤيتهم (أدهم) ، في النهاية الأخرى للممر ،
ارتفعت فوهات مدافعهم الآلية في سرعة وتحفز ..

وانطلقت رصاصاتهم ..

كالمطر ..

ودون أن يضيع جزءاً من الثانية ، ضغط (أدهم) زناد
مدفعه الآلى بدوره ، وهو يطرهم أيضاً برصاصاته مع
تراجعهم السريع ..

وتفجرت الرصاصات في الأجساد ..

بمنتهى العنف ..

وتساقط رجال الزعيمة ..

وتفجرت دماؤهم ..

وشعر (أدهم) برصاصة تخترق فخذه ..

وثانية تحرق ذراعه ..

وثالثة تمرّ على مسافة سنتيمتر واحد من عنقه ، وهو
يتراجع ..

ويتراجع ..

ويتراجع ..

ولكن الرصاصات كانت تنهمر بلا هوادة ..

وبلا توقّف ..

والممر الطويل ، الذى يتراجع عبره (أدهم) ، كان
يقترّب من نهايته ..

ويقترّب ..

ويقترّب ..

وفي لحظة ما ، سينبغ نهايته حتماً ..

وسيصبح التراجع مستحيلاً ..

وعدد رجال الزعيمة ضخم للغاية ..

وحتى لو أصابت كل رصاصة ، من رصاصات مدفعه
أحدهم ، ستفقد كل الرصاصات ، قبل أن يسقط كل الرجال ..

وسيقضى نحبه عندئذ حتماً ..

صحيح أن الموت لم يخفه أبداً ، على مدى حياته كلها ،
إلا أنه كان يشعر بالمرارة والأسف ؛ لأنه سيموت على هذا
التحو ، دون أن يتم المهمة ، التي جاء من أجلها ..

ودون أن يمتلك القدرة ، على إنقاذ (مصر) ..

وإنقاذ العالم كله ..

ولكن حتى المرارة والأسف ، لم ينقصا من صموده
وعزمته شيئا ..

لذا فقد واصل تراجعه ، وهو يطلق ما يتبقى من
رصاصات مدفعه الآلى ، و ...

وقجأة ، اتجه إلى ذلك الباب إلى اليسار ..

باب مغلق بمزلاج معدنى مستدير ، شأن كل الأبواب
البحرية ، فى سلاح الغواصات ..

ولقد بدا هذا الباب وكأنه الأمل ..

الأمل الأخير ..

وبسرعة ومهارة ، أدار (أدهم) ذلك المزلاج المستدير ،
فتفتح الباب فى يسر ، وجنيه هو نحوه ، لينصع منه حاجزاً ،
ارتطمت به رصاصات مدافع رجال لزعيمة ، الذين يحون نحوه
بأنفسى سرعتهم ، قبل أن يتب هو داخل قاعة صغيرة ، ويدير
مزلاجها خلفه فى قوة ؛ ليغلقها فى إحكام ، أمام مهاجميه ..

لم يكن يدري أية قاعة تلك إلا أنه كان بحاجة إلى
مهرب ، من تلك الرصاصات التي تنهال عليه بلا انقطاع ..

أى مهرب ..

وفى غضب ، بلغ مطارده الباب ، وراحوا يطلقون عليه
رصاصاتهم ، فى ثورة ، لم تثبت أن هدأت ، عندما أدركوا
أنه ما من سبيل لاستحماه على هذا النحو ..

ويكل ما تبقى فيه من قوة ، التفت (أدهم) نفساً عتيقاً ،
وهو يغتمغم :

— هدنة مؤقتة يا (أدهم) ، ولكن كيف السبيل إلى الخروج
من هذا السجن ، الذى وضعت نفسك فيه باختيارك هذه
المرة ؟!

بحث بأصابعه عن زر الإضاءة ، حتى عثر عليه ، قضغطه
مغمغماً :

— دعنا نعرف أولاً طبيعة هذا السجن .

ثم يكد مصباح الحجرة الصغير بضاء ، من خلف حاجز
زجاجى مقاوم للمياه ، حتى انعقد حاجبها (أدهم) فى شدة ..

إنه لم يكن داخل قاعة عاتية ، بل كان داخل حجرة معلاة

ضغط ، من تلك التي ينتقل إليها الغواصون ، قبل خروجهم إلى
 أعماق المحيط .. وفي نفس اللحظة ، التي أدرك فيها (أدهم)
 ما هية المكان ، بدأ حاجز آخر في نهايته يفتح في ببطء ..
 وفي هذه المرة ، تنفتحت مياه المحيط إلى الحجرة في قوة ..

وإزداد انعقاد حاجبي (أدهم) ، في توتر بالغ ..

فمع سرعة تدفق مياه المحيط ، لن تلبث أن تمتلئ بها
 الحجرة كلها ، خلال دقيقة واحدة على الأكثر ..

وعندئذ لن يكون هناك سبيل للنجاة ، من الموت غرقاً
 في الأعماق ..

أعماق المحيط الأطلنطي ..

أعماق الأعماق .



انتهى الجزء الثالث بحمد الله

وبالله الجزء الرابع بإذن الله

(المصيلة)



د. تيميل فاروق

**رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة**

148



العدد
رقم
البريد

الخطوة (ب)

- ما مصير (أنهم صبرى) داخل غواصة الزعيمة الغامضة في أعماق الأطلنطي؟
- ما هي الخطوة (ب) ، وكيف يتواصل الصراع بعد أن تملك الزعيمة السيطرة الكاملة؟
- ترى من ينتصر هذه المرة .. بعد أن انطلقت الخطوة (ب) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك ، وكنالك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم (الحميدة)

العدد القادم (الحميدة)